الحب
خارج الصندوق
مجموعة قصصية
منال خليل

الحب خارج الصندوق (قصة قصيرة)

ربما أريد أن أشرح شيئًا لا يقبل الشرح ، وربما أريد أن أقول شيئًا يصعب فيه التعبير ، لكنني بالتأكيد أفكر في شيء لا يقبل التفسير. في العلاقة بين الرجل والمرأة وتبادل العواطف بينهما بطريقة خارقة للطبيعة ، وعلى عكس المعتاد.

ستكون المرأة في خضم هذا النوع من المشاعر تبدو كملكة مستبدة في مملكة الحب والعشق بل إنها ستكون السيدة الأولى في هذه المملكة ، وستكون هي الوصية الأولى والأخيرة في الرعية والشعب ، والتي تتمثل بعد ذلك في مشاعرها وانفعالاتها بالملكة هذه أو من هذا النوع عندما تحب سيكون الأمر بكل تأكيد على غير المعتاد.

الذي أشعر به الآن والذي طالما كرهته هو السيطرة الي طالما كنت أشعر دائما أنها تغتال حريتي , والتي تفرضها أنت علي في علاقتك معي ، لذلك أبقى كما لو كنت غير مبال لمواصلة حبك, بل ظل كما أنت غير مبال كي أحبك . لأنك إذا أحببتني فسوف أهرب منك ، إنني أكره الحب المتبادل لأنه لا ينجب سوى الأطفال والصداع وليالي التثاؤب الاجتماعي , يمكن للملكة التي تحبها أن تقول للرجل الذي تحبه أو الذي يعطيها المشاعر التي تشعر بها لأنها في هذه الحالة لا تحبه بل تحب المشاعر التي تشعر بها ، فهي تقول له ابق وأنت غير مبالٍ بعيدًا. لكي أحبك وأبقى الرجل المستحيل في حياتي الذي يغذي شوقي لأظل أحوم حول الشجرة المحرمة وأنظر إلى التفاحة المرغوبة لأنني عندما أقضم التفاحة أغفو وأصاب بالملل والنعاس ..ويصيب قلبي الركود والسأم .

هل ستصدقني عندما أقول لك إنني أحب نفس اللحظة ، أحب نفس الموقف ، لست أنت ، أنا لا أعشقك! أنت بعيد عن مخيلتي ، بعيدا عن حياتي تماما،، لكنها الحالة ، الشعور ، أنها باقية .أما أنت فلا تختفي و تتوارى بعيدا عني ..أنا لا أريدك أنت لا أعشق الشخص لكنني أشد ما يكون إخلاصي للحظة للشعور للموقف للإحساس .لكن في كل الأحوال لن تكون أنت أبدا ,إنني أحب الإنسانية جميعها .لكني إكتشفت في داخلي شيئا غريبا هو أنه كلما إزداد حبي للإنسانية جميعها جملة واحدة تناقص حبي للبشر أفرادا .انني كإمرأة لدي القدرة على أن أكره أحسن إنسان في مدى أربع وعشرين ساعة ! لماذا ؟ لأنني أصبحت عدوة للبشر متى اقتربت منهم وبخاصة أنت أيها الرجل ..الرجل المستحيل في حياتي .. إنني أشعر ان اقترابي من شخص في العموم أو رجل على وجه الخصوص اشعر بمجرد اقترابي من أي فرد أنه يصطدم بذاتي ويغتال حريتي ,,إنني بالرغم لأني على إستعداد أن أصلي في سبيل البشرية والإنسانية جميعا وأن أقدم عملا عظيما .لكنني وبالرغم من ذلك لا أتحمل أن أعيش مع شخص واحد أو رجل ما في غرفة واحدة أكثر من ثمان وأربعين ساعة !! ربما أرى من أمامي مملا ولايطاق لأسباب قد تكون تافهة لدى الآخرين .لكنها تسحقني من الداخل

بل إنها تقتلني ..ربما يكون هذا مملا لأنه يمضغ الطعام ببطؤ وهذا لايطاق لأنه يعطس ا أو يسعل كثيرا !وغيره وغيره من الأسباب.

هل ستصدقني عندما اقول لك اني اعشق اللحظة نفسها,, اعشق الحالة ذاتها ,, لست انت , اني لا اعشقك انت ! انت بعيد عن خيالي ,بعيد عن حياتي ,,لكنها الحاله , الشعور ,,انه هو الذي يبقي ..ولتختفي انت ,,أناالآن اسمع انين تساؤلاتك واري لهفة ودهشه نظراتك وانت تسألني لماذا وكيف ؟ ,, اتدري لماذا ؟ لأن هذا الشعور مخلص لي ,, وتلك اللحظه صادقه غير مخادعه ابدا ,,لكنك انت الخائن ,, انت الغادر ,,الغضوب , الجهول ,,انا حقيقة لا اريدك ,,لاااا اريدك مطلقا .. انما اريد الصدق ذاته , الإخلاص ذاته ,, الحنان ذاته ,, والدفء ذاته ,,انه دفء اللحظه وصدقها وبرااءتها التّي لم تلوّثها يداك ولم تقتلها قسوتك ,,ولم يذبحها عنادك اوغباؤك ,,او كبرياؤك,,فلتبتعد انت ولتبقي بعيدا بعيدا ,,في ابعد مكان وابعد ركن من اركان الزمان ,, ولتتواري عن عيني وتختفي للأبد,, فحتي لو كان لنا نصيب ان نلتقي فأنا لا اريد ذلك لاا اريده ابدا,, فأنت في ناظريّ لست اكثر من كومة رمااد محترق كان حريقا في يوما ثم انطفأ ..لست اكثر من لوحة بيعت بأزهد الأثمان بعد ان أمضي الرسّام دهرا في رسمها وتلوينها ثم فجأه شعربخيبة امل شمعه ضحت بنفسها لتضئ غرفة أعمي ! ما اصعب ان تكتشف فجأة ومتأخرا .. انت كنت دائما تتعامل مع الأشباه ! اشباه الأحبّاء ..اشباه الأصدقاء .. او حتي اشباه الرجال ...انه شعور سيّئ جدا ..لقد ادركت انه لاشئ حقيقي وثابت في حياتي معك .. لاشئ سوي الأشبااه .. أشبااه الأشياء ..واشبااه المشاعر ..واشباه المواقف ... فقط لاغير ..انّ هذا هو حالي معك ايّها الرجل! . فأنت بعيد بعيييد عنّي جدا,, بل ابعد ممّا يتصوّر خيالك , وأكبرممّا تتّسع ذاكرتك ,,صحيح إنّنا لم نفترق ,لكنّنا لن نلتقي ابدا! ,, فلتبقي ايتها اللحظه ..ولتخلّد ايّها الشعور ..لكن بالنسبة لك انت فأرجوك ,, ارجوك واستحلفك بكل غال لديك ان تذهب بعيدا ولتدعني بمفردي , اذهب تاركاخلفك نبض الإحساس ودفء اللحظاات .. كانت قليله,, نعم قليله ..لكنها كثيييره جدا بقدر قلّتها ..طويله جدا بقدر قصرها ,,,دافئة جدا برغم البرودة التي احاطتها !!! ولا تستغرب من مطالبي ..لاتستغرب ابدا ..وتذكّر ان هذا الاحساس وذاك الدفء ..اتاك يوما ما راكضا فإرتطم فوق صخرة عنادك وذبحت لحظااته الصادقه تحت نصال سيف كذبك ومراوغتك ..وبرد دفء الإحساس هذا في صقيع خوفك وجبنك ... لكن يداي الحانيه جبّرت كل الكسور ..وداوت كل الأمراض والعلل ..حتّي تعافيت منك تماما ....من جهلك ,,من صلافتك ,, من ظلام قلبك ...رجاء ...لاتضع نفسك او تضعني في هذا الموقف الحرج ..فأنا لم اعد اريدك ..ولم تعد تجدي توسلاتك لي نفعا ولا ضررا ... حتي شعور الشفقه فأنا اضّن به عليك ! حتّي هذا الشعور انت لاتستحقّه.. فأنا لم اعد بحاجة اليك .ولم تعد تعني لي شيئاً ... نصيحتي لك ان تحتفظ بما تبقي من ماء وجهك وترحل بعيدا عنّي ... فما اصعب الإحتياج لشخص انت لاتعني او لم تعد تعني له شيئا....صدّقني لقد حاولت كثيرا ان اتصالح مع احاسيسي كي ترضي عنك .. حاولت ان استجيب لتوسلاتها كي اعفو او اصفح او حتي اقترب ولو خطوة واحده لكن دونما جدوي ..لكني وفي نهاية المطاف خذلت تلك الأحاسيس ورددتها خائبة تجرجر اذيال الهزيمة والخذلان ...(غلبت اصالح في روحي عشان ماترضي عليك) فلم يعد لها مكان لدي ..طردتها من اعماقي من قلبي ..و من كل مابي شر طرده وبلا عوده ..

حقيقة انا لم اعد اجد فيك متعتي أوسلوتي ولا راحتي ..لم تعد تسلّيني تلك الأشياء الصغيره التي كانت تعزيني يوم غيابك او يوم اجتماعنا او لقائنا سويّا ...ياعزيزي لقد خسرت انت المعركه وربحتها انا ... فلتخرج منها مذموما مدحورا الي ابد الآبدين ...فأنا لم اعتد الخساره ,,مهما عانيت ومهما تألّمت ومهما تاهت بي الدروب .. فالنصر حليفي دائما في النهايه ...شديده الحزن لأني اراك تجهل الحقيقة التي عرفتها انا..ما اصعب الأمر علي من يعرف الحقيقة وحده ..وياويل الذي يدري من الذي لايدري ....اتمني لك ان تدرك ذلك في يوم ما ... فخير للإنسان ان يكون تعيسا وعارفا ..من ان يكون سعيدا ومخدوعا !...مالي اراك تنظر اليّ صامتا كالأبله ؟ هل تفجأت بكلماتي ..ام اخافتك تصريحاتي ...ام انّك كنت تريدني حطاما تجمعها وان اكون دائما بحاجه اليك ...هذا هو ماتريده وماتتمنّاه ..لكن هيهات ... (لسه فاكر قلبي يدّيلك امان) شتّان بين ماتريده انت وبين الحب والعطاء الحقيقيين ...الاتري معي ان البون شاسع بين كليهما!!!!شتان بين ماتريده انت وما اصبوا اليه انا ....انّنا خطّان متوازيان كل منا يسير في اتّجاه مختلف ..صحيح انّنا لم نفترق لكننا لن نلتقي ابدا ! انّي أفضّل ان اعيش في الظّل ..افضّل ان اعيش مغمورة في هذه الحياة ..بل وأكثر من ذلك ,فإنّه يسعدني ان اجد لنفسي فيها ركن صغير أو زاوية صغيرة .في أي بقعة على الكرة الأرضيّه وانزوي بين جدرانها سعيدة هانئة بالبعد عنك ..فخورة بحريّتني التي أطلقت يداي من قيدك الثقيل وحرّرتني منه...فلأكن مكمورة أو مطمورة أو حتى على الهامش ..لكنّي سعيده .حرة طليقة ..ترفرف أجنحتك في سماء حريّتي التي ناضلت في سبيلها حتى اشرقت شمسها وملأ شعاعها نورا في حياتي ...اا الآن لايكدّر صفوي غيابك أو عنادك وغرورك أو كبرياؤك الجبان !الرعديد ... المهم انّي وجدت ذاتي...بعد ان فتّشت كثيرا في جنبات نفسي التي أضاءها ظلامك !!!؟في البداية تعثّرت قدماي وانا ابحث وابحث فإذا بي أجد نورا يضئ لي من بعيد ويملأ نفسي وروحي معا بالضوء المتوهّج ...وحينها سألت نفسي سؤالا واحدا ؟ هل هناك اشياء لا تحدث في حياتنا سوي مرّه واحدة فقط ؟ ثمّ لاتتكرّر بعد ذلك ..وهل يبصر الإنسان حقيقة الأشياء في بعض الأحيان في آخر الردهة من ممرآت هذا الزمان القاسي ؟ وقد حدث هذا بالفعل ..أتدري متى ؟ يوم كنت أظن انّي ارى كل شئ ولكن في الحقيقه لم اكن اري اي شئ!!!! وبعدما سقطت في هاوية جحيمك .. وفي تلك اللحظة سألت نفسي سؤالا كان لابد له أن يسأل ؟ أين أنا الآن ؟ في القاع ... نعم في القاع .. فضحكت منّي نفسي ساخرة بقولها : جيّد ..على الأقل لن نسقط مرّة ثانيه ... وماذا بعد القاع ؟!!حينها اقتربت منّي بسخرية لاذعة وكانت زخّات الغضب تمطر من سماء عينك المظلمه وانت تعترض على كل اقوالي وافعالي .. وتهزأ بكل ما اقول وما تصرفه ..عندها طلبت منك ان تضع عنوانا لقصّتي معك,, فتنهّدت بتململ وحرقت وجهي بزفرات انفاس صيفك الحار ...فاجأتك اجابتي مسرعة ملهوفة تطفئ ظمأ الحيرة على شفتيك وقبل ان تنطق قلت لك ان افضل عنوان لهذه المهزلة القصصيّه هو (فكره خاطئه)....ياااه ..الهذه الدرجه ظننت انّ الذئب يمكن أن يكون حملا وديعا ! وإلى هذا الحد كّذّبت الصدق وصدّقت الكذب ! يالها من خديعة محكمة الصنع ... قد رأيت الألوان المصطنعة جنّة حقيقيّه ! ولم اكن احسب انها ليست اكثر من مجرّد قشره او قناع جحيم مستعر! ضحكت كثيرا حتّي اهتزّت حنجرتي وسخرت منّي ضحكاتي ...ثمّ ضحكت وضحكت كثيرا حتي سالت دموعي ...وامتزجت الضحكات الساخره بالألم !امتزاج التراب بالماء ...والنّار بالهواء ...اتذكر هذا اليوم ..قبل ان تسألني ..سأجيبك ... انّه يوم اتيتني واثق الخطوة تمشي ملكا لتخبرني بشكل او بآخر انك ستقطن وتسكن بيتا بجواري

وبالقرب منّي ..ظنّا منك اني سأطيرفرحا بهذا النبأ ...يال سخرية القدر ... لا ادري أسخر القدر منك ام منّي ؟ صحيح انّك اصبحت تتنفّس الهواء الذي اتنفّسه . وتسكن الحي الذي اسكنه .. وتمر من الشارع الذي امام بيتي ... صحيح ...صحيح كل هذا انا لا انكره ...انت اصبحت قريبا جدا منّي .. لكنّك بقدر قربك اصبحت بعيدا عنّي ... موجود انت بالفعل موجود بقربي ..لكنّك غير موجود لدي ولا بداخلي مطلقا !!!! بقدر قربك انت بعييد !!! فما اقربك منّي وما ابعدك عنّي !!!! يؤسفني كثيرا ان ابلغك ان آمالك قد خابت ... فأنا لم اعد انا ...لقد جئت متأخرا ياعزيزي ...متأخّرا جدا .. اتدري انّك بهذا الذي فعلته اصبحت كمن يطلب الدفء بعد انقضاء الشتاء !!! وكمن يطلب الحياة بعد الفناء !!!...لك ان تعلم ياسيدي انه قد فات المعاد وانقطع حبل الوداد .... ولكن هل لي الآن ان ابلغك رسالة قصيره اثق انّها ستصلك حرفا حرفا وكلمة كلمه مفادها : (عزيزي الرجل انا لم يؤثّر عليّ كل ماحدث ولم اتأثر بالحادث ...لكنّي انا التّي اثّرت علي الحادث بل علي كل ماحدث..أيها الرجل المستحيل دع عينيك الساهمتين تتجولان بي في ذكر حبنا البرئ الغابر اللاّمكتمل ,,لأنطلق أنا في مدن الحيرة وشوارع التنهد .أسألك الرحيل أيها الرجل .وأقولها لك بملئ فمي (لاتكن لي ,,لاتكن لي كي لاننتهي كضفدعين يتواصلان في في تفاصيل الحياة المملة اليومية..ويغرقان في نقيق الشجار المتكرر ,,بل إبق نائيا ,حبا مستحيلا يتضوع عطر كي أظل متعطشة للرحيل بحرفي حيث مقالع أبجدية الدهشة ,,لاتستجب لي أبدا ودعني متأججة بأشواقي المستحيلة , إبق في حياتي كتاب متجددا لايقرأ ,ولن أفتح أروراقة المتراصة في أي يوم ,أريد أن يظل حبك صرخة تخترقني وبلا صوت كصرخات التماثيل في المدن الخالدة , إبقى كما أنت الرجل المستحيل والحب اللاّمكتمل في حياتي لتظل أبجديتي تنزف إشتعالها بعيدا عن الأفراح الكئيبة,لقد أردت أن تجعل مني ملكة مزيفة كئيبة باردة في قصرك الثلجي ,لكني فضّلت أن أكون صعلوكة في براري حريّتي.

لم نفترق لكننا لن نلتقي أبدًا قصّة قصيرة

المنعطف:

إنه فعلًا كان أو كاد أن يكون منعطفًا خطيرًا في حياتها لكنّها تداركت الأمر في الوقت المناسب، لم تكن (نوال) تريد يومًا ما أن تكون مثل باقي قريناتها أو أقرانها... كانت تحبّ دومًا أن تغرّد خارج السرب وتفكّر خارج الصندوق... اعترفت (نوال) لنفسها مرارًا وتكرارًا أنها بهذه الأسلوب ربما خسرت وستخسر الكثيرين من الصديقات والأصدقاء.

ولكن شيئًا ما سيّئ بداخلها كان ينمو ويكبر مع الوقت يحذرها ينذرها... يرهبها ويرغبّها، يُضيئ لها طريقًا كانت تشعر أنها مشتتة من قبل لكن بدون حذر ولا حتَّى أدنى حذر، ولما لا وهي الَّتي طالما رأتهم حولها يتساقطون ورقة تلو ورقة من دفتر عمرها كأوراق شجرة

الخريف، وتتساقط معهم كل الأفكار، بل قل كل الترهات وكل السخافات والخزعبلات الخاطئة الَّتي دائمًا ما كانت تصدّقها وتؤمن بها.

وأقول تؤمن، لأن الإيمان هو تسليم بدون دليل، بدون منطق، بدون أي شيء، مجرّد التسليم بفكرة والانقياد لها هكذا لمجرّد شعور أو إحساس يبدو للوهلة الأولى قويًا يقينيّا لكنه سرعان ما يتهاوى ساقطًا في محيط الوهم تبتلعه حيتان الخداع وتمسك به حتَّى يغرق مختنقًا بين مخالب الشر لافظًا آخر أنفاسه، إنه ما من دليل يقودها للحقيقة الكاملة. فأنّى لها أن تسلم بها وهي غير موجودة أنّى ها!!!؟ إنها بذلك كمن يرى الشّمس في ليل بهيم، أو كمن ينتظر الولد من رحم عقيم، ولأنها لم تكن تريد أن تكون هذا وذاك. جلست في إحدى ليالي الشّتاء الباردة وصوت قطرات المطر كانت كساعي البريد الَّذي يدقّ على شبّاك غرفتها، فجلست في رهبة متبتل وخشوع مبتهل وجل، ليلة ساد الخشوع بها ركن في غرفتها وتضرع السكون في صمته راجيًا قلمها أن ينطق بما في قلبها وما يدور في خلدها.

تتلألأ النّجوم بما فيها وليس بما نعطيها... وأنت النّجم الَّذي لا تشبهه كل النّجوم.. هكذا بدأت أول سطر في رسالتها... لم تدري كيف تبدأ؟ كيف تكتب؟ كيف تشرح؟ ... أو ماذا تقول؟ وإن وجدت ما ستقوله.. كيف ومتى تقوله؟؟ الآن تبدأ.. لا، لا.. ما زال الوقت مبكرًا.. ليس بعد... ثمّ فجأة وبإصرار... لا... بل الآن... والآن أبدأ... ثمّ أمسك القلم بيدها! وانسابت الحروف وتلتها الكلمات وانزلقت على شفتيها العطشى لكل ما فيه... وكل ما به... وجرت عذوبة الكلمات الشفافة تروي جفاف قلبها وتسقيه فينبت به نبات أخضر من الحنان والطمأنينة والسّعادة... أنت نعم أنت، أنت من أبحث عنه... ترى لماذا تأخرت كل هذه السنوات، أين أتيت؟ ولماذا تأتي الآن بالذات؟! وتساءلت بحزن يقطر من القلم ويسيل على وجه الرّسالة ليغرقها في أنين من الدموع...

هل كنا على ميعاد؟ وإذا كنا كذلك؟ هل من الإنصاف أن تأتي الآن؟ استنشقت عبير الكلمات الَّتي ملأ عطرها أرجاء الورقة الَّتي ما زال أكثر من نصفها كبياض الثلج الَّذي ينتظر حرارة كلماتها ودفء عباراتها ليذوب من لهفة اللقاء.! واحتضنتها الكلمات! وفي عناق الحرف مع الحرف قالت له: إنّي أهرب من نفسي إليك. فاحتوياني.. خذني بين ذراعيك وضمني إليك... ودعني أتأمّل عينيك...

لكنني ماذا أرى؟ فدنا لها طيفيه من فوق السطور وهو يهمس في أذنها ماذا ترين؟ فاقتربت برهة.. ثمّ ابتعدت لخطوتين وهي ما زالت تتأمل عينيه في خشوع مستكين مرتجف! ثمّ أجابته وهي تتمتم بشفاه مرتعشة متألمة: أرى في عينيك الغدر... أرى أنهما تلوّحان لي من بعيد وكأنهما تودعاني أو ستفعلان ذلك بعد فترة... ثمّ شردت إلى البعيد القريب! وهي تهمس لنفسها بألم مرتعد: إذن وغدًا قريبًا ربما يتركني أو هو سيفعل، حتمًا سيفعل.. لن يستمرّ في حبه لي..

غدًا أو بعد غد سيخذلني... سيقتلني بجفائه... سيملّني... نعم أخبرتني عيناه بذلك وحديث العين يصدق دائمًا... اشتممت في نظراتهما رائحة البرود تلوّح لي من بعيد بيد ثلجية تختبئ وراء ستار من العاطفة الدافئة... وساعتها لن أجده ثمّ بكت وأجهشت بالبكاء طويلًا... وانتزعت يدها

من يده بقسوة وبسرعة متوترة وهي تقول له بحزم: لا، لن أنتظر حتَّى تفعلها فلأتركك أنا... لن أدعك تكسرني تخذلني لا، لا لن أدعك أبدًا... وبصوت متهدج بالبكاء ونبرات متقطعة تمزقها سكّين الحزن الباردة وهي تقول لن أدعك تخذلني... بل لن أصدقك... أنا أريد الحبيب الحنون... أتفهم؟ الحنون! أريده هو، هو صاحب القلب الكبير، صاحب اليد الحانية الَّتي لا تقترب مني إلا لتمسح على شعري كما اعتدت أن أمسح على شعر قطّتي الصغيرة بحنان...

يد لا تمتد إلا للعطاء... للحنان... فقط لتربت على كتفي وعلى ظهري بأنامل حانية... أنامل تتحسّس خصلات شعري الطويل المنسدلة على أكتافي وتحركه مع الهواء يمينًا ويسارًا... يد تغلف قلبي بدفئها وتتحسّسه دائمًا لتطمئن عليه... لترعاه... لتغذّيه بالحبّ والشوق كطفل صغير... أريد هذا الَّذي يرعى قلبي... يدفئه... يحنو عليه... يحتضنه... وعندها... ثمّ صمتت... فأمسك هو بيدها ليعيدها إلى صدره مرّة أخرى وهو يهمس في أذنها الصغيرة ويتحسس أصابعها بلمسات طويلة بطيئة حانية: ومن قال لك إني لست كذلك، من أخبرك أني لست هذا الَّذي تبحثين عنه... تأملته في خشوع وبصوت مرتجف وهي تقول بنبرة متشككة: أحتاج لمن يمسك بيدي ويضمني إليه ويقول لي كفاكِ حزنًا... فحزنك يتعبني... آه، قالتها وهي تئن من ألم روحها المتمزقة كقطعة قماش اهترأت على مرّ الزمن...

آه ثمّ آه، لقد تخطّى الوجع في قلبي كل الحدود... اقترب منها أكثر حتَّى أصبحت أنفاسه ممتزجة بأنفاسها وحتَّى سمعت صفير أنفاسه يثقب أذنها ويخترقها متسللًا أو محاولًا التسلل لقلبها... لكنها نظرت وهي تحدق طويلًا في عينيه وهي تقول وكأنها تخبره بما لم يتوقعه منها: لكن الغدر ذكر... الكذب ذكر... الغباء ذكر... فقال وهو يبتسم بغرور: لكن الخديعة أنثى... البشاعة أنثى... والحماقة أيضًا أنثى... فبادلته النظرة بعناد وبثبات وإصرار وإقرار قالت: وأنا أدركت أن القبح ذكر... فرد محاولًا تهدئتها وبحنان ممزوج بلوعة، قال: لكني أرى أن الطبيعة أنثى...

والسّعادة أنثى... فشردت بخيالها بعيدًا وقد سقط القلم بيدها بالتدريج كحبات مطر تهبط على استحياء من السّماء وقامت بخطوات بطيئة وهي تتجول في غرفتها وتحوم حول الورقة، وهي تنظر للقلم بتوجس اختلط بالعناد، ومن ثمّ رنت في أذنها كلمات إحداهن وهي تقول لها ذات مساء وبضحكات تحمل من الاستهزاء أكثر ما تحمل من الثقة والَّتيقّن: أتظنين أنك ستجدين السّعادة الَّتي تحلمين بها مع رجل... أنت واهمة... أنك تنبشين في الوهم وتفتشين في السراب... أن هؤلاء الرجال يا عزيزتي قلوبهم صناديق مقفلة... لا يفتحها إلا هم ووقتما يريدون... ثمّ اقتربت منها وبهمس كفحيح الأفعى قائلة: وحدهم إنهم وحدهم فقط من يفتحون قلوبهم وأسرارهم وقتما شاءوا ويغلقونها كيفما ووقتما يريدون... ثمّ اعتدلت في جلستها على الأريكة وبلا مبالاة... هكذا هم دائمًا...

وما على المرأة إلا التّحمل والصبر... فقد يرجع لها رجلها يومًا سكرانًا بخمر حبّ جديد أو متعربدا في شهوة مثيرة... أو غارقًا مع متعة جديدة... ونظرت إليها وكأنها تواسي حالها أكثر مما تواسيها وأسندت رأسها للخلف وهي تتنهد: آه، لكن الأنثى لا بد أن تتحمّل... نعم، تتحمل وتحمله بين ذراعيها كالطفل الرضيع... ولتصبر على ركلات أقدامه في وجهها... أو لكمات يوزعها شمالًا ويمينًا بيديه الثائرتين مطالبًا بغذائه أو عندما يحلّ موعد إرضاعه... لا بأس، لا بأس فهكذا هو الطفل الصغير دائمًا ما يفعل عندما يتذمر أو يغضب... وما على الأمّ إلا تلبية

رغبات طفلها... حتَّى لو دلّلته... كتمت هي غيظها وحنقها وهي تبادلها النظرات قائلة: وهي أين هي في حياته؟ أنا لا أريد مثل، مثل... هذا الرّجل المتبجح.. أنا أريد... وقبل أن تكمل أسكتتها وقاطعتها بإصرار ونبرة متحدية يائسة قائلة: لن تجديه يا عزيزتي!

لن تجديه... هو فقط من يريد... ويحقّق ما يريده... إن لم يكن بالترغيب فهو إذن بالترهيب... وبهمهمة لاذعة وبتبرة تقطر بالحسرة وبالمرارة واليأس: قالت لها: إن المعركة دائمًا تنتهي لصالحه أو قولي بالأحرى لمصلحته... ومصلحته الشخصيّة... فهبت هي واقفة وباعتراض شديد وهي تردّد كلماتها الَّتي سكبت طعم الحنظل في فمها وبمرارة الصبّار وهي ما زالت تردّد... (مصلحته... صالحه هو... الترهيب)... وصرخ داخلها بهلع مريب... ثمّ عادت مسرعة للورقة وأمسكت القلم وبطلقات نارية من ومضات الرعد، الَّذي أطل في سماء غضبها وسال قلمها بسيل أمطار متذمّرة وتداعت الحروف ثائرة من قلمها: لن يكون ذلك أبدًا... لن يكون... ومهما يكن من أمر... لن أيأس إنه موجود... موجود... موجود... إنه يسكن داخل روحي أراه وأتنفسه... أشعر بوجوده، بحرارة أنفاسه تلذعني...

قد لا يكون مثلكم... قد يختبئ بينكم... قد يظهر في نواياكم الطيبة، ثمّ يعود ليندثر بين ثنايا نواياكم الخبيثة! قد ترونه كفلق الصبح المشرق عندما تنفرج أساريركم فيخرج بشعاعة ليضيء أرواحكم بصفاء... وضياء ونقاء... قد يختفي عندما يرتطم بصخرة جشعكم ويغرق بحر المادة الَّذي سقطتم به، ثمّ لا يلبث أن يعود مرة أخرى لينبعث من جديد عندما تصيح صيحة حق بداخل صدوركم لتنهاكم عن الجشع، عندها تنهمر دموع الضمير المشبع بآلام الذنوب وحسرة الندم فيظهر هو وينبلج عنه صبح منير يداوي آلامكم ويربت بيدٍ من حنان على الصدور ليشفي ما بها ويُهدّئ من روعها فتنبت بها بذور الأمل من جديد... ثمّ عاد القلم ليسقط من يدها لتعيد كرّة اليأس نفسها من جديد وترتدي ثوبها القاتم لتغيم علي وجهها سحابة من الشحوب والتّوتر والحزن، وقد تذكرت كلمات ذاك الرّجل الأربعيني الَّذي يسكن خلفهم في البناية الَّتي تلاصق بنايتهم وقالت وهي تتنهد بصوت متهدج مكلوم بوجع مكتوم وأسندت ظهرها إلى الكرسي للخلف وهي تقول: كم هو رجل جاف...

متعجرف... بارد الطباع... لم أرَ مثل طباعه اللّئيمة في حياتي... وبحسرة متألمة قالت (كنت أحسبه على غير ما لاقيت منه؟! كان يتعمد إيذاء مشاعري كلما رآني يبتسم بغرور متبجح وثقة غبية وقحة يقترب مني ليلقي عليّ سلامه الكريه... آه... كنت أشعر أن السّم يسري في عروقي كلّما رأيته... يا له من رجل مستهتر، أعزب متسكّع في هذه الحياة ولا هم له سوى مجالسة النّساء واللّعب بقلوبهن... وبمرارة قالتها: ثمّ ماذا؟ ... يأتي ليتقدم لخطبتي!!! ليعلن توبته علي يداي...؟ ثمّ دقت بيدها على الطاولة أمامها وكأنها تدق ناقوس الخطر وهي تقول (كاذب... كاذب... لست هو... أنت لست هو... ثمّ تضحك بسخرية ممزوجة بمرارة قائلة: وكلهم صدقوا توبته المزعومة.. صدقوا أنه يريد أن يتطهر من ذنوبه أمامي.. وأنه يعترف بها فوق كرسي الاعتراف ليأخذ مني صك الغفران! يا لهم من حمقى!

وبتساؤل مشبع باليقين قالت لنفسها: أم أنهم كاذبون مثله. نعم، نعم هم مثله... يعيشون على الخداع... يحترمون الكذب ويقدسونه دون أن يشعروا بل دون وعي منهم... هيهه وابتسمت بغيظ وهي تتذكر أنه أراد أن ينال منها عندما رفضته... فلم يستطع... ليتهم يعلمون... ليتهم

يفهمون... قد اقترب منها ذات صباح وهي تعبر الشارع وتتلفت يمينًا وشمالًا لتتقي شر السيارات، وإذا بريحٍ ثقيلة هبت من جانبها، وإذا به يلقي بظله الباهت المليء بالتجاعيد الّتي حفرتها ذنوبه وأخطاؤه على وجه ظلّه المقيت وهو يلقي عليها التحية، ثمّ يقترب كشاحنة مسرعة تريد أن تسحقها قبل تفتدي نفسها وروحها مباغتًا إياها بسؤاله (هل وجدته؟) فالتفتت إليه باحثة عن معنى كلماته بين عينيه فلم تجد سوى دخانًا من الشماتة والتّشفي ينبعث من نظراته... ثمّ سألته مستوضحة... وجدت ماذا؟ فأجابها بلهجة لا تخلوا من السخرية والتّهكم الممزوجة بروح الدعابة والاستخفاف قائلًا: (المنتظر)، ألم يأتي بعد ليأخذ بيدك إلى حيث تريدين.. وإلى المكان الّذي به تحلمين؟ وقالت بضحكات متقطعة عالية علا دويها في أذنها كصواعق ليلة شتاء ثلجية قائلًا: لكن يا لطول ما تنتظرين! ثمّ اقترب منها هامسًا بتساؤل يقطر باستخفاف (هل تراه سيأتي حقًا)؟ لم تلتفت إليه بل إنها حتّى لم تسمعه... تركته ومضت...

مضت وهي غارقة في هذا الطّيف الّذي ملكها وامتلكها... حتّى لم تعُد ترى سواه... حتّى عشقت ذاك الطّيف الّذي أصبحت تراه أينما توجهت ووجهّت، عشقت طيفه ذابت به... عاشت بداخله... سكنته وسكنها... وامتزج الواقع بالخيال فأصبح حقيقة لا تنكر؟! وأصبح الخيال غارق يسبح في واقع، واقع لا محال... فلم تدرك أيهما تصدق، أيهما تصادق... كلاهما يتلقفها لتغوص كرة أفكارها وأحلامها بل ويقينها بين كلاهما لا تكاد تلتقطها يد أي منهما حتّى تطير بعيدًا في سماء اليد الأخرى... ولم تعُد تدري! هل هي تنظر اللّحظة الّتي ستعذب بها مثل غيرها أو أنها ستظل تنظر وتنتظر.. تتوجس وتتهيب وقوع تلك اللّحظة دون أن تحدث وقبل أن تحدث...! إن عذاب الانتظار أبشع ألف مرّة من العذاب نفسه... فهل يخرج مارد هذا الطّيف من بحر الهوى ليقهرها بحبّه وعطفه وقوّته الحانية وحنانه القوي... لتستكين بين ذراعيه ولتهدأ روحها على شواطئ يديه الّتي تحيطها بسياج رجولته فتشرب من كأس عذوبته راضية عن طيب خاطر.

جلست وكانت يداها ترجف، ثمّ جرت الكلمات من قلمها وقد سحبت أنفاسها اللاّهثة وكأنّما هي في سباق طويل مع الوقت... الزمن... الساعة... الأيّام والشهور والسنون... الكل يقول لها هيا لا تتردّدي أسرعي في اتخاذ قراراتك... ولا تؤخري أو تؤجّلي خطواتك... هيا قرّري مصيرك الآن... والآن تحديدًا.. كفاك انتظارًا... فإما أن يكون مصيرك صائر إلى ملاك أو إلى هلاك...

لم ترد يومًا أن تنزل إلى سوق الجواري... لم تشأ يومًا ما أن تبيع حلمها لمن يدفع الثمن الأكثر... لن تهدي هذا الطيف إلى من يلبس القناع الزائف ثمّ لا يلبث أن يتحول إلى كائن أحمق... غريب عنها... قريب منها لكنه بعيد عنها!! وطوت صفحة الورقة كطي السجل... وقفزت أوراقها بسرعة أرنب بريّ يخشى الصياد أن يلمحه أو يلتفت إليه واختفت بين طيّات المظروف الّذي كان بالرّغم من صغر حجمه بدا أمام عينها كعالم واسع مهيب!

مليء بكل ما تحتمله النفس وما لا تحتمله... وما تسعه كل القلوب وما لا تسعه! وجدت نفسها فجأة أمام صندوق البريد... ولم تدري كيف قفزت كل درجات سلم البناية..

مع أن مصعد البناية كان معطلًا إلاّ أنها هبطت إلى أرض الشارع بسرعة البرق الّتي تسبق كل المصاعد! كيف حدث ذلك لم تدري؟! بل تعد تعقل أو تسمع شيًا ممكنًا يدور حولها... ولم ترَ

أمام عينها سوى وميض تلك الرّسالة الصغيرة الَّذي يلمع بريق حد السيف الجديد المتعطش للبتر والقطع! نعم بتر كل الأكاذيب... وقطع الشك باليقين... لحظة حاسمة... وسط حقيقة معتمة في سماء غائمة...

لحظة تشق غبار كل صمت وتسمع كل صوت... ستصل رسالتها... حتمًا ستصل... وسيستلمها من هو أحقّ بها... إنه يعلم أنّها ستصله يومًا ما! هو بانتظارها ولا بد أنه مستلمها... لن تصدق أقاويلهم المحبطة... لن تبيع الصدق بالأكاذيب... ستقوم مهما سقطت وستعلو مهما هبطت... يكذبون الصدق عندما يصدق الجميع الكذب أما هي فلا... فلكل جرحٍ دواؤه ولكل طير هواؤه. إنه المنعطف، الطريق الدائري والمتاهة الَّتي من المستحيل أن تختفي وتذوب كقطعة السكر كوب الماء بين ثناياها، إنه لا بد أن يكون شيئًا لم يوجد بعد.

عصر من العزلة

القوّة الحقيقيّه هى..أن تظل صاامدا رغم إنهياراتك الدّاخليّة..وأن تدعّي الصّلابة بينما قلبك ينصهر ويتفتّت حزنا ..!!!! لكن إذا سألت أحدهم أوحتّي سألك أحدهم ذات مرّة؟هل وصلت إلي مرحلةلاتستطيع معها وصف شعورك الدّاخلي .؟ بماذا ستجيبه؟هل ستصمت؟ ربما ستصمت للأبد؟ هل ستصرخ من ألمك هذا الدّاخلي ؟ربما... كل مامررت به من واقع أو من حلم أو من وهم سيتجسّد أمامك في اللحظة؟وتحتار الإجابةأو الإجابات علي شفتيك.وقدتتلعثم الكلمات وتضل طريقها إلي قلبك وعقلك معا وتتوه في سرداااب من سراديب الزمن العتيق حين إذا ستكون مضطّرّا لأن تغوص في أعماق نفسك مختبئا من تلك الإجابة ..ربّما تخجلك الإجابة ,,, ربّما تجرحك,اوربّما تقتلك من قسوتها ؟فتختار الهروب مرغما تختار البعد طائعا .....تختار أن تستدل ستار أبديّا علي نفسك ...وتستمد العون من ذاتك و من داخلك ,, تصرخ طالبا النجدة ..ولكن أعلم أنّه لن يفهمك إلاّ إثنان فقط ... أحدهم مرّ بحالتك ...والآخر يحبّك جدا ؟ وعند هذه الجملة صرخت (يقين) وهي تتأرجح في أرجودةمابين الشّك واليقيين وبحسن ظن عذّبها وأشقاها (آخر يحبّني جدا ؟!!!!! ضحكت ...ضحكت كثييرامن هذةالجملة...حتّي ملأت السخريةفمها بالضحكات وإمتزجت بمرارة الكلمات وإمتلأت حتّى فاض منها شلاّل ساخر من لكمات الضحك الموجعة ..كانت كل ضحكه بمثابة وخزة جنجر أوطعنة رمح وضحكت ,,,ضحكت كثيرا...لكن لاشئي يهم لاشئ ابدا ...أهم شئ هو الأشئ !!نعم لاتتعجب أنت أو أنت ...أنا (يقين) بطلةهذه القصّة وقد وصلت الي يقين هو أنّي عوّدت نفسي علي ان انفرد بذاتي معظم الأوقات...لأنّي أعلم أنّه لا أحد يدوم لأحد..كان لابد لي أن أفهم هذا منذ البداية,, أن وجود أحدهم في حياتي قد يكون شيئا جميلا لكن هذا لبعض الوقت ..بعض الوقت فقط .. وكأنما هي منحة ـو فسحة يعطيها الزمن لي كهدنة او ربما شفقة علي ..قد يرق لحالي قلبه لبعض الوقت لكن ليس للأبد ..انه لايبلث ان يعود لسالف عهده معي ... .. ولكن مانسيت أن أدركه وأعوّد نفسي عليةهو أن غياب أحدهم لن يؤثّر علي ...لكن على كل حال لاتقلقوا ...سأكون بخير ..سأتعوّد قريبا جدا ...أقرب ممّا تتخيّلوا...ربّما تشعرني الوحده بعدم الإطمئنان

النفسي..ربما أشعر بوحشه برهبه بضيااااع ولكنّي مع الوقت علمت أنّه شعور زاائف ..تغلّبت عليه وأنا في وحدتي .. صدقا أنا لا أستطيع أن أكون مع الآخريين إلاّ من خلال الوحده !!!!! لاتتعجبّوا إنّي أري الدهشة قد عقدت أفواهكم ...لكنّها الحقيقة ...إذا اردتم أن تعرفوها فلتسمعوا لحكايتي ...حكايتي ليست طويلة وليست غريبة .. لكنّها الأمتع والأكثر إثارة...اري الدهشة تلمع في عيونكم وبريق الرغبة والفضول يصرخ في صدوركم ...

في البدايه كانت حياتي عادية أوهكذا كانت تبدوا .....لم أكن أجد نفسي وس الزحام..كنت أهرب من أصدقائي أو أتعلّل الأسباب لأبقا لوحدي طوييلا ..كنت أشعر أن التجمعات الكبيره اوحتي القليله تأخذني من نفسي تشعرني بغربة بيني وبين نفسي تتوه منّي تضيع في زحام كلماتهم الجوفاء وضحكاتهم الصمّاء التي لايكاد يص صوتها الأخرس الي سمعي حتي يرتد من حيث جاء مرّه أخري كالمطرود !كثيييرا ماكانت ترهقني النقاشات الجانبيه الطوييلة التي كانوا يبحثونها بمنتهي التفاهه ..قد أكون أنا المختلفة أوأنا المخطئة والغير مقدره لهذا التجمع المثالي وهذه لصحبه الرّئعة ..ولكنّها نفسي وذااتي التي تندثر بين طيات حديثهم هي من تصرخ مستغيبثة ..من يعيد ذااتي التي أفقدها وأنا بينهم ؟ كم كان يؤلمني كثييرا شعوري عدم التقدير ..سواء من بين أسرتي الصغيره (أبي أمي أخوتي وصديقاتي) الإبتعاد مؤلم لكنه فضل من قرب بلا تقدير ... هكذا كنت قول لنفسي ..بعد صداقه تنتهي...كنت أنا من أنهيها بنفسي ... تعبت سئمت ..منهم من كلامهم من عدم تقديرهم ..من تفكيرهم .. أبح الجلوس معهم أصعب على نفسي من رفع الأثقال ... لم أعد أطيييق ... عندما شعر للحظه أن ذاتي لايتم تقديرها كما ينبغي و كما أريد أنا يجن جنوني وييش صوابي ..وحينها ..ليذهب كل شئ للجحيييم ...المهم ن أبحث عن ذاتي فأجدها ..لوفقدتها لم يعد هناك شئ يستحق البقاء في هذا العاالم بالنسبة لي ... كنت أفكر أكثر ممّا أتحدّث وكانوا يملّون منّي من أجل ذلك .. فكنت أفضّل الصمت ..كي لايضحكون علي الوقت الذي آخذه قبل أن أجيب علي أي سؤاال ؟

أتراهم كانوا يرونني غريبة الأطوار ؟! ربّما ..ربّما كذلك بالفعل ...

كنت دائما أحتاج أن آخذ لنفسي فسحة من الوحدة أهرب فيها الي أعماق نفسي وأتحاور معها ألومها أمدحها أعاتبها وأضحك معها أو أحاسبها ..إنها فسحة أرمّم فيها ما أفسدته تلك الحوارات والنقاشات الجانبيّة التّافهة والعلاقات السطحيّة التّي أشعر أنّها تحيطني ... وكبرت وكبرت معي معاناتي ... الأصدقاء..المعارف ..الأقارب ... حتي محيط الأسرة السعيدة او التي تبدو أمام الآخرين سعيدة ..صدقا أنا أراها كذلك ... لم أري في أبي وأمي سوي أشباح من الماضي بأفكارهم البالية السقيمة التي تشل تفكيري وتحدد حركاتي وتقيّدها ...لم أكن أري فيهما سوي صورتان باهتتان ومملّتان روتينية أتعبتني أفكارهم أرهقتني إنتقاداتهم المتكرره لي ... لم أكن أعبأ بها لكنها كانت تؤثر في في ذاتي في عقلي ..كم بكيت الليالي الطوال حتي أنام متعبة من بكائي بسبب تلك الإنتقادات أو تشبيههم لي ببعض الأقارب او بالأحرى القريبات اللواتي لم يكونوا راضيين عنهن أو عن طباعهن وشخصياتهن..كم كنت أشعر بالظلم والقهر ...كم تمنيت مرارا أن أصرخ فيهما قائلة: أنا لست كذلك ..انا لست هذة أوتلك.. أنا أكون أنا بنفسي وبشخصي ..وبذاتي ..وفي النهاية أتألم في صمت أو في صراااااخ أو أنين أخرس يسير في دروب غامضة ويقودني إلي طريق غرفتي الذي أحفظ خطواتهوأنامغمضة العينين ... وتكون غرفتي هي الشمعة التي تضئ لي وسط الظلام...في آخر الردهه اغوص في داخل غرفتي

وعالمي الخاص ..مليئ بشخوص كثيره ..دائما ماكنت أشعر أنني أكثر قوّه وصراحة بل وسعادة ..أشعر أن حولي أناس كثيرين جدا ... عاالم لانهائي يمدني بالقوةوالصلابه ..ولا أكتمكم سرّا كان يجب أن أني وحيدة في الغرفة لم أكن أسمح اوأطيق أن يقتحم علىّ أحد وحدتي ..فالسعادة الحقيقيّةمستحيلة بدون الوحدة ...هي وحدها الوحدةمن كانت تمدّني بالقوّة..إنّها أخلص من أخلص صدييقة لي .. بل إنّك أيتّها الوحدة حنونة جدا أحن من حناان الأم الذي طالما أفتقدته ...مع أن أمّي موجوده وتنعم بصحة جيّدة ...ولا أدري لماذا يتهمونك بهذا الإتهام الباطل أيتّها الوحدة وينعتونك بالقسوة؟؟!! ..بعمرك لم تكوني قاسيةمعي ولن تكوني .. إنك تفتحين ليا الأفاااق العريضة وتفسحين لي المجاال لكل الآمال حتّي المستحييلة منها..فمن أين لك بالقسوة ؟!!! وكيف تكونين أنت القاسية؟!! أأأنت القاسية أم أدمغتهم الغبيّه أم عقولهم المتحجّرة ..أأنت القاسية أم شرّهم وإتهاماتهم ونظراتهم المتربّصة دائما ..؟ لطالما شعرت وأنا بينهم وكأنّي وحدي في هذا العاالم وكأنّما أنا آتية من كوكب آآآخر لا أعرف لماذا طردت منه ؟؟!!

أشعر في أحيانا كثيرة أنني توقفت عند نقطة معينه لا أستطيع أن أبرح مكاني بها...

وكأنما هو تجمد ..عدم حراك...توقف عن النمو .. كأن بداخلي كائن ينمو لمدة ما ثم يكبر ويتحرك ثم يقف على قدمية ويتشبّث بكل ما يجده أمامه ليقف ويثبت وجوده معلنا صرخته للجميع انّة كائن موجود له صفة واسم وحياة تنمو وتتحرك وأنه أصبح قوي ويستطيع ان يتحمل ضربات القدر ..ثمّ ..ثم ماذا ؟؟ تصمت كل الأشياء من حوله ..تتوقف فجأة عجلة الزمن ....وتقف الحياة تنظر الى هذا الكائن من بعيد ...تتأمّله وهو ساكن لايتحرّك (موني بوزتوقف) وكأنما شل فجأة ..لكنه يتأمل من بعد كل الحياة من حوله ويظل هذا الكائن يتفحصها بحذر وبتوجس وهي تبادلةالنظرات .الحياة!.نظراتها غامضة تلك الحياة..نظرات باهتة عديمة اللون أم أن الوانها بهتت وأنطفأت بفعل الزمن ..ويظل هذا الكائن بداخلي ينظر للحياة فزعا تارة متأملا وجلا تارة أخرى وهي تبادلة بنظرات غاامضة ساكنة صامتة لاتعلن عنما بداخلها ...اهو فزع أو هدوء أم سكون أم تجمّد وتوقف أى عاصفة تخبئين لي أيتها الحياة..؟أتساءل اتنظرين لى لتوحين بالعاصفة القادمة ..وتتجمد حركة الكائن وتشل قدماة عاجزة عن الحركة وهومستمر في تبادل النظرات مع العيون الغائرة التي تغوص في اعماق ذاته وتسبح في كيانه المتجمد ؟وهويصرخ ماذا تريدين مني أيتها الحياة؟ ماذا تريد عيونك الغائرة من نظراتها ,؟ لقد شلت حركة النمو بداخلي ؟ بعد أن قطعت شوطا لابأس به ؟ماذا ستجنين من إخافتي , ؟ ومن إثارة الرعب بداخلي ؟ لماذا نظراتك حقودة أحيانا ,؟شامتة في أحيانا أخري ؟ غامضة باردة في أغلب الأحيان ؟ لقد شللت حركتي ؟ويظل كلانا يتبادل النظرات مع الآخر..أنا ونانت ايتها الحياة,؟ وانا واقفةبلا حراك عند نقطة ما ...نقطة غامضة رمادية اللون يرجف قلبي عندما أصل لها ... لقد قطعت شوطا وبذلت جهدا والنتيجة تقف عند نفس النقطة (نقطة تجمد)كل ما بداخلي يتجمد عندتلك النقطة .. يرتجف يرتعد معلنا بدأ شتاء من الأفكار اللاّذعة وامطار من الحيرة والرهبة الموجعة ..وأنا ثابته اتأمل فقط أتأمل وأشعل حطب الدموع في موقد الأحلام لتدفء وتسكت هذا البرد الذي تسري أفكاره في أوصالي ..وأنا اتأمل ثم اتأمل ولا أستطيع عند بلوغ تلك النقطة الرمادية سوي ان اتأمل الخريطة المتشابكة المريبة واحاول فك حل لغز المتاهة المرسوم على وجهك اتها الحياة وانتي تتأملينني بغموض وصلافة وبتحدي وأنا اقاوم بردك واحاول الوصول لمجاهل خريطة وجهك الذي يلفة الغموض كل هذا وذاك وانا متجمدة

امام خريطة وجهك السرمدي عند تلك النقطة الرمادية ... لا ابرحها وطبول الخوف تدق في أعماقي , !!!لذلك اخترت مكان يحميني من برد شتائك أيتها الحياة ؟مكان لايعرفة سواى الجأ فيه إلى مغارة أفكاري محتميةبداخل نورها الذي يضئ سناه كالبرق ويشع بداخلي ثم يربت بحنان على قلبي الملتاع ويلفني في عباءة هدوئه الساكن المسالم المستكين وبعيدا عن صخبك الذي أصم أذاني يسمعني ترانيمه وأنغامه العذبة التي تسيل كقطرات من جدول ماء اسمع خريره يصب في قلبي حتي أهدأ وأناااااااام كطفل بين أحضان أمّة إشتاق لنوم هاادئ مريح ... ثم يلومونني بعد ذلك على وحدتي , !! يالهم من أغبياء بل أشقياء..تعساء ..لقد نشبت مخالب الحياة اللعينه أظافرها بداخلهم فأصبحوا كذلك ,..اتدرون ....أشعر احيانا كثيره أن بداخلي يسكن زلزال ...زلزال قوي يعشّش لمدّة او لفترة من الزمن ويعربد هذا السكّير داخل أعضائي وينبش في أحشائي ويظل هذا العربيد يسكر ويتمايل ويضحك بضحكات ساخرة مني ..ساخرةجدا ..وحينها لا أجد أمامي ملاذ منه سوي أن أجلس وحدي ..وحدي في سكون وهدوء بعد ان أهرع لاهثا طالبة الحماية من هذا السكّير الفاجر واهرع حينها إلي أبعد مكان أبعد مكان لاتراه الأعين واجلس هناك حيث لا أحد... وحيده شريدة الذّهن مفتوحة الأعين متوجّسة من خوفي الوذ بصمتي وتأمّلاتي لتحميني من هذه العربدة التي ترتع وتمرح بداخلي وتزلزل كياني بدرجه 10 ريختر وانا صامتة أحتمي واتقوقع داخل نفسي ودموعي تهبط على صحراء ذاتي الملتاعة لترويها بفيض من أمطارها .....لقد مر في حياتي ..كان يريد أقتلاعي من ذاتي والغريب اني إستسلمت له وتركت له يدي ليجذبها اليه في صمت وسكون وإستكانة وكأنّني أبتهل في محرابه راجية منه العفو والمغفره... إنّه هو ماتسمّونه انتم العشق () واسمّيه انا (السّم)لكنه مخدر ومخادع لأقصى درجة سم سم لذيذ لأنه مغموس بقطرات من العسل

وأبعد مكان .. .. لقد مرّوا هم في حياتي عابرين على جسر من الشوق انه لكنّهم مرّوا مرور اللئام ..ومرررت انا مرور الكرام ...

متي يتمنّي الإنسان ان يصبح طيرا ويتصرف كما لو انّه كان ؟؟!! متي يكره الإنسان قيد بشريته اللعين ويكره ذل آدميته ويتمنّي انّ لوكان حيوانا بريا طليقا في متعة البريّه ؟!! متي يريد الانسان ان لايكون انسان؟؟!!! ومتي يحلم ان يجد نفسه ذات صباح قد اضحي نخله باسقه او شجره وارفة الظلال ؟!! تري كيف يتسنّي له ان يصبح كذلك؟؟ ....تري هل تكذب الحيوانات ؟ تري هل تحقد الطيور وهل تحسد الزهور؟؟ تري هل تغتاب وتنم الأشجار والأنهار ؟!! وهل تدبر الورود والزهورالبريّه المكائد للأشواك التي تحيط بإصرارخصرها وكأنما تريد التخلص منها ؟!!! بالطبع لا ااا والف لا... وهل ياتري يحتاج كل هؤلاء للنقود لكي يستطيعون العيش؟؟! هل يفكر احدا تلك الكائنات او تسول له نفسه ان يسرق يوما ما ليدبر قوت يومه او أكل عياله ؟؟!!! وهل لو فعل ؟ سيعاقبه القانون؟؟؟!! وهل ياتري يعيش ايّا من هؤلاء يخشي كلام الناس او حتي يعتريه في ذلك ولو مجرد وسواس؟؟؟ !!هل ينافق هؤلاء او هل يضطرون لذلك ليحصلوا علي منصب او وظيفه او مبلغ من المال؟؟!بالطبع لا ..وحدك انت فقط ايها الكائن البشري ..وحدك فقط انت المكبل المقيد ..المطعون بخناجر الوقت وسيوف المطالب والمطامع...وحدك تحتاج لكل مااستنغنوا عنه هم ... وحدك تكذب ..تحقد ..تحسد ..تكيل الشتائم وتكييد لغيرك .. وحدك تحاسب,, ووحدك تعذب .. وحدك,, اما الجحيم واما النعيم ... ولكن اي نعيم ؟!!! وكيف ستحصل عليه ؟..وكم من الثمن ستدفع ؟؟ ومقابل ماذا ستخسر؟!! وحدك ..وحدك فقط ... انت

لاسواك ... حملت وحمّلت كل الأوزار وكل الأعباء.. ولم تكتفي بذلك ..بل زدت حملك بأحمال من الأخطاء المتتابعه حتي اصبحت انت وهي كيان واحد ..كل لايتجزّأ .. وارهفت سمعك لكل الوسوسات وحسّك لكل المغرياات ... ومن غيرك لها يستجيب؟ .. من غيرك لرائحتها الخادعة يستطيبيب؟.. آآآآه ثم آآآآه ثم آآآآه.. ما اسعدكم ايتها الحيوانات ...بل ما انبلكم ... وما اهنأكم ايتها الزهور والنباتات ...بل باقي كل الكائناات ... ماعداك انت..انت ايّها التعس ..ايّها الشقي ...ياصاحب الجنس البشري ... الا يا ايّها المعذّب .. الا يا ايها السجين المقيّد...لا أريد أن أكون مثلك ..اريد وأردت دائما أن أحطّم القاعدة ...تلك القاعدة اللعينه كم كتمت على أنفاسي حتي كدت أختنق ..لم أرد يوما ما من ايام حياتي ان اكون فردا في هذا القطيع ..لم أشأ يوما ما أن أصبح رقما في سلسلة يمر عليه ويقرأه الجميع ...

حتي في طفولتي كنت ارتاح للأرقام الفرديه وكأنما هي تحقق لي نوعا من التفرّد والذاتية التي أنشدها طوال حياتي ويعيبها على الآخرون .....

الي أن ظهر في حياتي أو بالأحرى ظهروا .؟ هل أوجه اللوم له أم لكم ؟ ام لكل شئ ..العقل والشعور ... ايهما ..عقل أم قلب ؟ ايكما هاا .؟ كلاكما خاسر في هذه المعركة؟ لماذا ؟ لأن كلاكما خذلتماني .؟ لم يعد لي مكان بين كليكما ... ان مكاني الوحيد بين أضلعي ..مكاني الوحيد في أحضان إنكساري ...انكساري الذي مر فوقه الجميع بدون ان ينظروا حتي الي ..هو الوحيد الذي يجب أن أحتضنه هو الوحيد الذي أنا مدينة له ..لأنه بداخلي عالم كبير ..انه عالمي الخاص ..عالم لا أحتاج فية لأحد لا أكون فيه أسيرة لأحد ..

يبدوا لي في أحيانا كثيرة انك ايتها الحياة وظيفة لاتناسبني ..ولابد أن أستقيل منك ..مهلا ..لاتعتقدوا اني أقصد الإنتحار ... لست ضعيفة الى هذا الحد ..بل اني قويّة أقوى ممّا تتخيّلوا وما يتخيّل جميعكم ... بل إنّي قصدت ان أستقيل من هذه الحياة بطريقتي الخاصّة ..بصنع حياة اخرى لي وحدي ..انه نوع مختلف من القوّة ..

نوع آخر لم تعهدوه انتم لم وتعتادوة ..اني أختبر الحياة بطريقة اخرى أراها وحدي كما لم تروها ولن تروها مثلي ..فقط إتركوني وشأني ... لكنه هو ..هو لم يتركني وشأني .. إن خوفي كلّه منه ..منه هو ,لا غيره .. انه هذا الوحش الشرس ..الذي دائما ما يدس السم في العسل .. دائما يخبّؤ أنيابة تحت جلد ناعم املس كثعبان يتلوىّ بحنان رائف قبل ان يبدغ لدغة الموت الأبديّه ...انه أنت ايها الشعور المخملي ا الذي يبدو كذلك للوهلة الأولي .ان عتبي كلة عليك ولومي موجه اليك ...وخوفي كلة منك لاعليك !!! انت ايها القاسي الشرس ..طلبت منك ان تتركني ووحدتي وتفردي بصبابتي ..لكنك تأبى وترفض في صلافة وعناد ..هل تغار من حدتي هل تحقد على حريّتي ؟ أعلم انك تحب الأسر وتسعي اليه بكل طاقتك ..تسعى اليه بالعواطف النبيله والهيام سهر اليالي وحرارة المشاعر الدافئة التي لاتلبث ان تتحول بمرور الوقت الي قنبلة موقوتة او لغم ينفجر في شراييني ليقتل كل مابها او ماتبقي بها من حس ومن اى حرارة ... وانا دائما اوكنت أ وقل بالأحرى كنت أستسلم لك ...لكني دائما في النهاية او قبيل النهاية بقليل كنت استشعر الخطر قادما نحوي ..ويفسد العسل وتظهر اثار السم الذي جرعتة من كأسك جرعة جرعة على ..لكني قوية كنت دائما اصارع الموت واغتصب الحياة اغتصابا بل انتزعها انتزاعا من بين فكيك وانيابك ..حتي اشفي منك تماما ..اتدري لماذا ؟؟؟ لأن النقطة الرمادية

كانت تضئ لي من بعيد ..من بعييد ..ثم تقترب مني رويدا رويدا ... حتي تتضح معالمها تماما لي ,,بعدما اعيش معك في عالمك الخادع البراق كسراب طائر يحملني على جناحية المكسورتين ليلقي بي في أوّل حفرة يجدها امامة فأندثر تحتها وتختفي معالمي للأبد تحت قاااع ابدي سرمدي تبتلعني رماله المتحركّه وتبتلع معه كل أحلامي المنكسرة والتي تحطّمت على صخرة خداعك ايها الشعور ...لكنها تلك الومضة ذات اللون الرمادي الباهت ..اراها دائما عند منتصف الطريق قبل ان أصل الى النهاية ..النهاية التي اردتها انت لي .. المح ذاك البريق الخاطف الذي يبدو باهت من بعيد ثم يقترب بويدا رويدا ليسحبني بحنان ام الي مكان بعيد عنك ويحلملني على جناحية القويتين لبر الأماان وقبل ان أسقط في قاااع الحفرة الأبدي .. دائما مايلوح لي هذا الوميض عند منتصف الطريق وكأنما هو كان يرقبني من بعيد ..وينتظر ما عساى ان أفعل ..وقبل ان القي بنفسي في دائرة الخطر تتلقّفني يداة الحانيتان ..ثم يحتضنني بكل دفئ وآمان ...إني اسمعه دائما من بعيد قبل ان أصل إلى خط النهاية صوته يهمس في أذني من على بعد!!!! ويقل لي ..إبتعدي ..ليس هنا ..ليس مكانك ..لست أنتي ...ستكونين أخرى ..أخرى كجماد متحرك ... جمادي يتنفس يأكل ويشرب ..لكنه جماد!!! انه شئ آخر غيرك ...لا لا لست أنتي ..في البداية أعانده وأجادله ..وقد أسبّه والعنه .بل أطرده ..لكنه يأبي في عناد أن يغادرني ..اكرهه امقته اركلة بكلتا قدمي ....لكنّه عنيد مصرّ على البقاء ..ثم فجأة أجد اضواء تلّح لي تشير لي بالإتّجاه الصحيح وبأنّني يجب ان أغير وجهتي وإتّجاهي فورا وإلاّ سقطت في بئر لاقرار لها وستضيع معالمي كلّها ... ولا البث أن أجد نفسي منصاعة لأوامر ذاك الوميض الباهت الذي يقترب منّي رويدا رويدا وأجدني أسير بإتّجاهه دون وعى منّي وكأنما أنا مسحورة مأخوذ لبّي وشعوري معا ..أسير دونما وعي منّي لكني واثقة الخطى أمشي مطمئنّة هادئة البال كأنّ شيئا لم يكن ..لم يكن أبدا .. وعند منتصف الطريق وتلك النقطة الرماديّه ومابين بين ..ثمّ فجأة تتضّح المعالم وتلمع تلك النقطة الرماديّة ويصبح سناها ضوء أخضر وإشارة مرور وعبور لبر الأمان...ولا البث ساعتها أن أدرك انّه كان الملاك الحارس الذّي كنت أركله بكلتا قدمي وأرفضة بكل ما إستطعت من قوّه ...لكنّه كان يأبى وبكل ثقة إلاّ يأخذ بيدي الضعيفة الهزيله الى شاطئ هادئ لايزعجني احد فيه لايكدّر صفو خاطري كائن من كاااان ..

دائما ما يتطلع الخريف للربيع ويشوق لرؤيته ويستمتع بها ربما يخفف ذلك بعضا من ذبوله ويقلل من عتمة اصفراره وانطفائه لكن كلاهما ينظر للأخر من بعيد ثم لايبث ان يتفاجأ وكانه لك يكن يعرفة اة كأنما الرؤية عن بعد شئ آخر .. ويصدم الربيع بالخريف والعكس بالعكس ويطفئ كلا منهما شمس الآخر كل منهما يخشي على نفسه من لو ن الآخر ان يطغي عليه فالربيع يتباهي بوروده وزهزرة وصفاء شمسه والخريف يتمايل فرحا لكن بأصفراره وذبولة ! لما لا فهما اكثر مايميزانه .. حتي لو كان الذبول والإفرار هذان رمزا للبرودة والتجمد والتوقف عن كل شئ رمزا لغياب الدفء والحراره وغياب كل ماهو هادئ ومريح واعلان جيوش العواصف العاتية والرياح الهوجاء بقدومها زحفا ممتطية خيول الثلج وحاملة سيوف الرعد والبرق في ليبالي الشتاء القارصة البروده والتي لايجدي معها نفعا كل المشروبات الساخنة لأن البرد يترعد ويصرخ ويئن من داخل جوف العظام المتكسرة علي صخرة شتاء لايرحم ..وليس في غروا او عجبا للتباهي فقد يتباهى القاتل احيانا بقسوتة وجبروته وذكاء خططه المحكمة لتنفيذ الجرائم وقد يتباهى السارق بخفة يده في ترك الجيوب فارغة والنفوس شاحبة وفي احيانا كثيره يتباهى المجرم بخططه في تنفيذ الجرائم وانه قوي لايضعف ولايلين عزمه ابدا

ولاتستوقفه رحمة او شفقه تأخذه بكائن من كان ليصل إلى هدفه في النهايه ... وهكذا هو الخريف يتفاخر بذبولة وكآبته التي تعلن عن قدوم كل ماهو موحش ومخيف وتوقف كل متحرك ليبدأ عهد القسوة والتبلّد والجمود والثلجّ .. ويظل الربيع قابعا في مكانه يتأمل هذه الوحشه وهذا الجمود بحذر وتوجس محتضنا ازهارة اليانعه وشمسه الساطعة ومخبّئا إيّاها بعيدا عن مخالب الخريف الحادّه وأظافرة التي يحاول الإقتراب من حين لآخرلينشبها في كيان هذا الربيع ليتمزق جلده الحساس أو تنزف دماؤه المعطرة بعطور الزهور الفواحه واصوات البلابل الصدّاحة ..لكن الربيع دائما ماكان على حذر او هكذا تعلم ..وحفظ واستوعب الدرس جيدا ..لابما عانا كثيرا من وحشية وبلاده هذا الخريف ومن جفائة فكان حريصاعلى ان يخفي نفسه في اعماق شرنقة صنعها من ذاااته واضاءها بكل انوار الحياة ..لكنها حياة صنعها هو لنفسه وبنفسه هو مليكها ومالكها وهو الآمر الناهي بها هو رئيس جمهورية ذاته وبذاته ولذاته ..ينسج شرنقة حريريه بل مملكة مخملية متقنة الصنع ينعم بها إلى الأبد ابد يحدده هو ويختاره حتي لو إلى مالانهاايه .قد تختلف النهايات وتتشابه البدايات .لكن المهم انّني اصبحت اعرف متى أبدأ وكيف انتهي او إلى اي حد اقف ..متي اعطي ومتي امنح ..متي اتواجد ومتي اختفي لسبب اعرفه انا وحدي ..لست محتاجة للتبرير... وهو الدرس الذي قدمته ليا الحياة على طبق من الندم وتعلمت بعدها جيدا متي امد يدي للغير ومتي اغلّها ..لن اكون متحا حتي في ابسط الأوقات عفوا ايها السادة الرجال سأعطيكم بمقدار فأنا اعلى هرم اولويّاتي ليست انانيه انما درس فتح ليا طريقا جديدا اسير به وحدي انا من احدد بداياته وانا وحدي فقط من ارسم نهاياته عنها وعند ذلك فقط سأكون بخير لأني انهيت عهد الفواصل واستعضت عنه بالنقاط .. لم اعد اهتم لوجودكم ايها البشر ابخاصة انت ياسيدي الرجل انت لست نصفي الآخر بل نصفي المظلم الذي بعثرته العقبات لكني وضعت نهاية لكل شئ واخرجتك من حياتي دونما عتب بل كل البشر وردودي باتت بأفعالي لأني ترفعت عن كثيبرين لم يستحقون وجودي ... انا سأظل بخير مادام انا بعييده عنكم وعنك ياسيدي انت تحديدا ...فقد ترفعت عنك منذ زمن ..تسألني لما؟؟ لأنك لاتستحقني ؟ فأنت كالكتاب لم اعد ياسيدي اهتم بالعنواان وانسي الداخل انسى او اتجاهل التفاصيل التي طالما عذبتني وارهقتني ... لم اعد اعقد امالى عليك فأنا مليكة امري وسيدة ذاتي ... ولم يهمني في يوم ما كلمات الآخرين او حتي اصغي لآرائهم ولو لبرهه من الوقت ... ولأن الخريف والربيع خطان متوازيان لم ولن يلتقيان في نقطة واحده لن التقي معك سيدي في يوما حتي لو تطلع خريفك الى ازهار ربيعي اليانعه حتي لو حاولت يداك الذابلتان من وطأة إصفرار وكآبةخريفك ان تمتد لتمسح قطرات الدموع التي تسقي ازهار ربيعي لن تجف القطرات ولن تستسلم الوردات ابدا ..لأن الخريف بعمره ماداوى جراح الربيع وليس بوسع ورقة الشجر المتساقطه الذابلة ان تلملم جراح اوراق وردة نديّة تتساقط دموع جراحها وتسقيها من مائها..

من الصعب جدا ومن النادر ان تولد حياة من رحم الموت. !!!

وانتم انتم ايها البشر ..ماحاجتي اليكم وفي بعدي عنكم الف عزاء وعزاء لي وفي قربي منك الف الف ندم والف ضياع والف الف خداع وبعدها الف الف وداااع ... انا بينكم وحيده تقتلني كلماتكم تنهش احشائي برودة حكاياتكم وتعذبني بلادة شعوركم ..سأغرّد خارج سربكم ربما لاتصلكم ولم تصلكم يوم ما تغريدتي ولن تصل الى اصداؤها إلى أسماعكم لأنها تغريدة ذات

نغمة نشاز لايتقبّلها صقيع وبرودة تلك الأسماع لكني سأغرد خارج سربكم تغريدة لي انا وحدي تصل الى عاالمي الذي صنعتة بعييدا عنكم ...

..لكنّي لم أعد أعجب منهم ولا منكم لكني لم اعد اعجب كما كنت ....لقد أنتهى وقت التعجب ..وأسدلت الدّهشة ستائرها على كل شئ لكني ومع كل هذا اكثر من عرف الحب واكثر من عاااشه بكل تفاصيلة واكثر من غناه بكل تراتيله واول من لحنّه بكل ترانيمه واكثر من فكيف قالوا فاقد الشئ لايعطيه !!!وانا اكثر من اعطى المحبّة واكثر من فقدها وإفتقدها! انا اكثر من يحسّه واكثر من يجيده ومع ذلك لم أجده يوم ما ,,..نتاج عجيب ..ونتيجة أعجب .. تملك الشئ ولاتجده..تملك ولاتحكم او تحكم ولاتملك اما هذه او تلك ... انه القرييب البعيد والبعييد القرييب ..تناقض اصبحت ادمنه واستعذاب لألم اعتدته او استعذبته !!! قد اصبح عنوانا لحياتي ..قد يقول احدكم لم نقرأ بدا عنوانا يشبة عنوانك ,ولم نعرف أبدا احزانا تشبه أحزانك ...سأمضي ابدا في بحر الحب و بغير قلووووع ,,لكن لن تكون حياتي أبدا كتاب دموع ..ربما سأتألّم حتي النهاية لكني لن أكسر .. وربما أبكي منذ البدايه لكني لن أخسر ...انا مابين الماء وبين النار...قد أسقط يوما ما لكنّي ... وعلى من يريد قيادة الأوركسترا ان يدير ظهره للجمييييع لن أنحني أبدا.

جاذبية الإحباط

عندما تتهاوى كل الأقنعة الزائفة ..وتتساقط كل الأهداف وتذوي وتندثر كل الآمال في حفرة متاهة اللاّنهاية... و تنقطّع آخر حبائل الهواء الذائبة!واللتي انت متعلق بها,, وتذوب كقطعة سكّر في ماء عكر ... عند إذ ستجد نفسك تسقط تدريجيا في هوّة سحيقة من الأفكار المتداعية لتأخذك لأبعد حدود دولة اليأس بكل أطرافها المترامية ... لن يقترب منك هدفك ابدا .لن يقترب مهما حاولت وأيما كان مافعلت ! ربما هدفك لايريدك كما أنت تريده ..وربما لن يفيدك كما انت ستفيده ... انه لم يقع بعد في هواك ... ولم يترنح سكرانا ساقطا في حبائل عشقك وإياك ان تحاول ثم إيّاك ... وإلا ستغوص في لج بحر من العذاب المقيم أو يفتك بك مرض لعين وسقيم ...إنها راحة اليأس ياعزيزي ..فأرح عقلك وقلبك ..وإستسلم.. أجعل كل أعضاءك تسترخي ..تأخذ إجازة طويلة غب فيها عن وعيك عن قلقك عن ذاتك وهواجسك ... إنّها اللامبالاة ..ومما تشتكي اللامبالاة؟ .. ان الكثير ممن لايبالون اراهم يتقدمون وفي احيان كثيرة ينجزون ..حتي من بيدهم السلطة وأولوا الأمر لايبالون لأمر الضعفاء المساكين ومع ذلك اراهم ينجحون ويتقدمون ..! ربما على حساب الآخرين .. وفوق رفاتهم يمشون ,, ثم لايبالون ... هذا ماكنت أفكر به وأنا أقف أمام مرآتي للحظات قصيرة طوبييلة !!! اتأمل ذاتي,, ليس وجهي وبشرتي التي أخشى عليهما من تجاعيد الزمن .. بل خيّل لي أني رأيت تجاعيد الزمن وآثار ندباته في داخل حياتي وليس فوق بشرتي .. كانت تجاعيده شرخا طويلا على جدار زمن سنين عمري التي تمر الواحدة تلو الأخرى ..وأنا أتساءل اما من مجيب ؟ ماله لايستجيب؟!! أتراهم فقط اصحاب السلطة هم ملايستجبون الا لما ولمن يريدون؟ لكن حتي اعلى

السلطات وأكبر هيبة وسط اي وكل الهيبات .. حتي من هو يملك كل الأقدار وبيدة يكون إتخاذ او تنفيذ اي قرار! .. انه لايجيب ولن يستجيب ... انه الأعلى سلطة والأكثر بطشا والأكبر شأنا والأعلى مقاما من كل شئ .. انه كما يقول عن نفسة ويصفها لايشبهه شئ وليس كمثله شئ! ..انه كلى القدرة كامل الحكمة ... إنه انت ايها الإله لا تستجيب..ولا تجيب ..كم دعوتك ..كم رجوتك ... كم أطعتك لكنك ..لاتفيد ولاتستفيد ...وأخذت أتساءل ؟ هل انت موجود حقا .. ؟ هل انت كائن حقيقي .. ؟ اذن لماذا لم تحقق لي ما أ صبوا اليه ؟ وأرجوك لاتستدرجني لبلاط هيبتك وسلطانك الزّا ئفين مرة أخرى ,,مدعيا ان هذا لصالحي .. كان بإمكانك ان تجعل ماهو ليس بصالحي لصالحي ..وما اريده يريدني ..لكنك لم تفعل .. مع ان بيدك مقاليد كل الأمور تدار بدفة يداك وتتحرك حسب رغبتك وهواك وترمي بسفينة حياتنا في بحر طاعتك ورضاك ... اذن لماذا لم تفعل !!!؟ دعني أحاكمك ايها الإله .. هذه المرة سأحاسبك أنا .. انت من لابد أن يحاسب ..وليس من يحاسب .. انت من تستحق العقاب وتوجّب عليك استحقاق العذاب ...لطالما خفت ايها الإله من شيخوخة الزمن ..شيخوخة الحياة ..شيخوخة التجاعيد في ذاتي ليس في وجهي بل في حياتي ... نعم لقد شاخت حياتي ايها الإله وأنت جالس تتفرج ... هل تسعدك آلامي ..ام تراك قدمت إستقالتك من منصب الإله؟!!! ..ولم تعد موجود !!! وتركت كل الوجود !! الم يكن لديك علم ايها الإله بما يحدث معي ... ؟!!! أتعرف ايّها الإله بمن انت تذكرني ..انك تذكرني بذلك الكائن الذي طالما نسبت صفاتك ونسجتها من صفاته .. ذلك الكائن الذي طالما درت في كل كلماتك وأحكامك وجعلتني كإمرأة أدور في فلك ومحور حياته ... انه شيبه بك أيها الإله ..كلاكما على نفس الدرجه من العته والبلاهة والبلادة ..كلاكما بنفس التعجرف والغطرسة الجوفاء ..كلاكما بنفس الذات الصماء العمياء ..التي لاترى سوى نفسها فقط .. كم تحب نفسك ايها الإله ولهذا خلقت على حد زعمك ان كان ماتدعيه صحيحا خلقت كائنا على شاكلتك وأعتيطه صلاحية ان يعاملني كما يحلو له ..وكما يتماشى معه .. اما انا فلا ... حتي علا الصدأ حياتي ويبدو أنه سيستمر حتي يوم مماتي .. ثم فجأة (الصدأ) تذكرته,, ورفعت بصري إلى أعلى المرآة... فإذا بي أجد ذاك الشرخ اللعين .. آآه ..لقد نسيته أن الصدأ بدأ يكسو المرآة من جرّائه .. لقد إتسع وتراكم الصدأ فوقه .. حتي غطاه وكساه .. كما كساني الألم الذي إعتراني عندما أتيت أنت في تلك الحظة ..وفي غضون لحظات مرّت كأنّما هي سنوات !!! شعرت بطيفك يدنو منّي رويدا رويدا ,,

أيّها الإله الرجل او الرجل الإله !!! وإبتعدت عن طيفك خطوتين وأنا

أتساءل ؟؟؟متى أتيت؟

أتساءل مالذي أتى بك في هذه اللحظة تحديدا!! ! ... ولماذا أتيت ؟ وكيف ؟ أسئلة عديدة هاجمت تفكيري وإنقضت عليه بشراشة مخالب أسد جائع وجد فريسة ضالة في صحراء جرداء ليس هناك من يدافع عنها .. وإقتربت انت مني بحنان وأنت تلامسني بأطراف أناملك فتحدث قشعريرة .. فسألتك وأنا أرتعد .. أرتعد من لذة مداعبتك لي ومن لذة خوفي من أن أقترب منك أكثر من ذلك وتنهدت قائلة: مالذي أتى بك الآن؟!!هل جئت لتحاسبني أم تراك جئت معتبا لي على أمر أغضبك مني يوما ما؟أم تراك

: جئت لتواسيني؟ ...

فإقتربت أنت منّي خطوتين أو أكثر ,, وإبتعدت أنا عنك بعد تردّد خطوة واحدة .. فأمسكت بيدي تتحسّسها بحنان قائلا : وهل كنت لاترغبين في مجيئ ؟ أعلم أنك كنت في إنتظاري ؟ فعلى الفور والفور وبأنفاس متقطّعة جاوبتك : لا ..بل على العكس .. أنا لم أكن في إنتظارك .. بل إنّني دائما كنت أحاول أن أؤخّر مجيئك دائما ... وكنت أقول في نفسي أنه من الأفضل أن لاتأتي... هذا كان أفضل لي ولك و..... فقاطعتني بحدة ممزوجة بشوق وأنت تقتلع الحقيقة إقتلاعا من عيناي وأنت تتأمّلهما وبحنان ولهفة قائلا, : أنت تكذبين ... أنت تهتمين بحضوري .. ..قائلا : والشوق في عينيك التي تسلّل الدمع اليها برشاقة بهلوان في السيرك .. وقبل أن تسقط دمعة من عيني إقتلعتها من جذورها بطرف إصبعي قائلة بنبرة يعلوها صدأ الكبرياء المتعالي وغطرسة الشوق المختبئ في ثنايا صوتي قائلة لك : أنت واهم ..ليس شئ حقيقي من هذا هذا أو ذاك .... كلا الأمرين سواء عندي ..حضورك أو غيابك .... فالتففت أنت من خلف ظهري ببطء وحذر وقلت لي وأنت ممسكا بي من الخلف وتحتضنني بيداك بكل قوتك ..قوّة ممزوجة بشوق ناري وغيظ لانهائي قائلا لي وب حيرة أشد ماتكون : أنت مجموعة من التناقضات ....أنهكتني تناقضاتك يا إمرأة ..,. !!! وفي وسط موجة إعصار تعتصرني وأنا بين عواصف يداك القويّتين الكبيرتين جاوبتك قائلة : التناقضات ... ؟ !! كل مابيننا هو تناقضات بتناقضات !!! عمرنا والفارق بيننا تناقضات ...

حبنا ,,ومشاعرنا المتداخلة الصاعدة الهابطة في لج بحر الغموض هي تناقضات ... تماما مثلما أنت أيها الإله ... ارجو ان لاتكون منزعجا من محاكمتي لك ... فهذا أقل مايجب .. أتستكثر هذا الحق عليّ ثم تستحوذ عليه لنفسك ولذاتك التي تقدسها !!! وتطالب الجميع بتقديسها وعدم المساس بها .. دون ان تسأل نفسك ..لماذا يقدسونك وعلى أي أساس ؟؟!!!! النّك وكما تدعي خلقتهم .. ؟؟؟!!!! النك وعلى حسب إدعائك ملكتهم ...! الف علامة إستفهام حول هذا الإدعاء والف تعجب؟؟؟!!!!!!!! دعني انا اسألك ؟ لماذا خلقتهم حسب إدعائك إن أفترضنا جدلا بصحة هذا الإدعاء .. الذي لايوجد علية اى دليل .. وبالرغم من ذلك تطالبهم وتجبرهم ان يعبدوك ولا تسمح لهم من ذلك بأي بديل !!! وهل طلبوا منك يوما أن توجدهم أو تخلقهم في الحياة ؟ هل توسّلوا إليك ان لاتحرمهم من نعيم شقائها ولذة عذابها ومتعة فنائها !!! هل كانوا يرغبون بأن تلقي بهم في بحر هذا الخضم الهائل من جحيمها ثم تتركهم يغوصوا وتتلاطم وتتصارع معهم أمواج الجحيم الحارقة حتي يسقطوا الى قاع محيط ذاك الجحيم !!! هل سألتهم ان كانوا يريدون منك ان تخلقهم ام لا .؟ لماذا لم لم تعطهم حرية الإختيار وإرادة القرار ؟ ثم من بعد ذلك تحاسبهم وتعذبهم ؟ بدون ان يملكوا حق القرار ولاحتّى حق الإختيار ؟ هل حددت لهم كيف وبأي طريقة يعبدوك؟ لا لم يحدث .. هل تركت لهم حرية المصير في إختيار عقيدة او دين ؟ لا لم يحدث ... هل عرضت عليهم ماهو الشكل او القالب الذي يريدون ان تصورهم على هيئته ؟ كلا لم يحدث .. دعني أخبرك بما فعلت بهم ؟ لقد القيت بهم في

غابة سحيقة مظلمة .. كالهاوية .. وتركتهم للحيوانات المفترسة من البشر والكائنات الأخري تنهش بلحمهم وعظامهم ..لقد حملتهم عبء الحياة دون ان يطلبوا منك ذاك .. حتي ناؤا بحمله وخارت قواهم ..فإذا بسياط عذابك وتهديداتك تجلدهم ..ولا ترحمهم ..معلنا بكل صراحة او قل (وقاحة) انك لن ترحمهم اذا تخاذلوا عن حمل هذا العبء او فكروا في ترك هذه الغابة دون إذن منك ...!! بل إنك هددتهم بالويل والثبور ان يطيعوا ويسمعوا .. ولكلامك ينصتوا ويقنعوا ..وحين طالبوك راجين خاضعين ذليلين أن يعرفوك عن قرب ويحادثوك وأن يروك .. إختبأت فكنت عنهم بعيد ومهما توسلوا ليروك لم تجبهم لا بإجابة او رد مفيد !!! ثم بعد كل هذا وذاك .. أجدك وقد وصفت نفسك بالقريب البعيد !!! وأنك انت الرحمن الرحيم والسميع العليم !!! قل لي ماذا سمعت من بكاء الجوعى وعويل ونحيب المساكين ..ماذا قدمت للأطفال اللذين ماتوا مرضا وجوعا .. قل لي على أي أساس تريد محاسبة من يطالب ان يراك او يريد ان يلمس وجودك حقيقة واقعة ليهتدي بالحق في نور هداك ,,.. قل لي ماذا في ذلك من ذنب؟ وكيف يجدوك وفي أي إتجاة وأي جنب ؟ لماذا أتعبتهم ؟لماذا أنهكتهم ؟ بل لماذا إن كنت صادقا فيما تدعية لماذا خلقتهم وأوجدتهم ؟؟ تقول لهم .. ليعبدوك !!!!!!!!! فقط من أجل عبادتك .. من أجل راحتك .. من أجل متعتك .. إذن فليجوعوا لتشبع أنت من الدعاء والتذلل والخشوع .. وليتعرّوا لتتغطي أنت بجبروتك وسطوتك ... وليتعذبوا هم في سبيلك لتتنعّم أنت في جاه عزّك وسطوتك !!! إذن إسمح لي أن أتعجب وأقول لك .. (يااااااال حقدك ونرجسيّتك وأنانيتك !!!!!!) لا تعضب من محاكمتي أيّها الإله الغضوب .. أعلم انّك لم تعتاد أن يراجعك أحد او يحاكمك أو يسألك ؟ لكنها الحقيقة تفرض نفسها فرضا وتتساؤل بسؤال يطرح نفسه طرحا ؟ هل أنت خلقتهم لمتعتك وأوجدتهم لينحنوا ويطأطؤا الرؤوس في الأرض ساجدين تعبدا لك وخوفا من هيبتك وطمعا ورجاء في نعمتك !!!! وأنا الأن أتساءل أي نعمة هذه ؟ اى هناء واى فضل هذا الذي أوجدته لهم ليضرعوا ويتذللوا وليلهم ونهارهم يخشعوا ... مكبرين فرحين مهلّلين ؟ بماذا وعلى ماذا ؟؟؟!!! الأنك القيت بهم في جحيم الحياة ثم تركتهم يصارعون الموت حتي الفناء !!! الأنك توعدتّهم لو تراخوا عن حمل عبئها الثقيل فلهم العذاب والعقاب الشديد يوم اللقاء !! الأنك خلقتهم على هيئة وصورة وآليّة ومنظومة هشة وضعيفة تفنى لأتفه الأسباب وأقل مايقال عنها غباء في غباء !!!! والآن هل لي أن أسألك أيها الإله قائلة ؟ هل أنت مأفون معتوه ؟ هل كنت تشعر بملل وفراغ فأتيت بمن يملأ لك كأس الغياب ويزودك بمريدينك من العبّاد والأحباب ؟! ثم قلت في ذاتك .. انا علام الغيوب وكاشف كل مستور وانا الحبيب والمحبوب .. إذن على ماذا تحاسبهم وتحاسبني إن كنت حقيقة كما تدعّي ولست محض خيال ؟! علام تعاتبهم وتعاتبني وتعاقبهم وتعاقبني إن كنت تعلم المستقبل سلفا وتصنع وتقدر الأقدار وتذلل الصعب وتهوّن المحال ؟!!! ثم بعد ذلك تدعي أنّا بك كفرنا ولعهدك خنّا وبعذابك ظفرنا ولنعيمك وفردوسك خسرنا !!!! الآن أنا أصبحت على يقين أو أوشك أن أنك لست أكثر من هراء في هراء ... وغباء في غباء ... ولو هناك اله بهذه البلاهة والسفاهة لألقيت انا به العراء .. اعلم اني أخاطب الوهم المستحيل وأحاكم إله من البداية هو مستقيل ... لكن أريت كيف نسبت كل تناقضاتك لهذا الكائن الذكري الذكوري الذي أصبغته بصبغتك الحمقاء .. ومبادئك البلهاء ... لقد

أقمت ومنذ البداية بيني وبينك ايها الإله المزعوم حاجزا زجاجي ... ووضعت سدا منيعا بينك وبين كل من إدعيت بخلقهم ..ولو إقتربوا من هذا الحاجز فياويلهم .. ولسوف تغطي الدماء أجسادهم !! ثم جئت تقول انك الحنّان المنّان وأنك تهب الصفح وتعطي السماح والغفران !!! يال تناقضاتك ايها الإله الرحمن !!!! وما أعجب تحولاتك وتسلّطك على بني الإنسان .... لقد ذكرتني فورا بهذا الذكر الذكوري الإنسان .. والذي قلت له يوما ما عندما ظننت اني كنت بحق أهواه :

نعرف بعضنا ..لكنّنا لانعرف بعضنا .. من قال أني أعرفك ؟ انّنا .

. !,, لانكتب لبعضنا ؟!!! من قال أني أكتب لك شئ .. هذا لم.. ومن قال أنك كتبت لي يحدث يوما ما ...؟

يومها بادرت بسؤالك محاولة إنتزاع الإجابة من بين شفتيك بخفة لص محترف في السرقة ..فأنتفضت يداك بعيدا عنّي كأنّ ماسا كهربائيّا مسّها وبنبرة صوت متردّد حائر يئن بداخلك فيظهر أكثر ممّا يخفي قائلا : أنا ... أنا أكتب مجرّد كتابات ,, أو أغنيات وأشعار في خواطري في خانة التعليقات الخاصة بي ,,

فضحكت ضحكة باكية أكاد أخفيها حتي سخرت دموعي التي أغالبها مني..

إلاّ أنها لا تأبي إلاّ أن تغافلني وتخونني وتهبط خلسة دون أن أدري بها قائلة لك:أعلم أعلم ذلك تماما ,, وبإبتسامة ساخرة تمتزج وتتلون بطعم المرارة قلت لك : وهل أنا قلت غير ذلك؟!

... أنا فقط قلت نكتب لبعضنا ولانكتب ... هل في هذا ما يضيرك أو يضرّك...ويظل مابيننا معلّق للأبد يدور بنفس الدائرة المفرغة والحلقة المفقودة!!! وفي إستدارة حانية إستدرت إليك و بحركة بهلوانية من يداك إقترب وجهانا من بعضهما والتقت العيون في سحابة سرمدية تصول وتجول في فضاء بريد المشاعر والنظرات المتبادلة بيننا والمحمّلة بأريج الحب وعطر اللهفة ونيران الشوق وصهيل الذكريات يطرق أسماعنا بطرقات حانية وأنت تقول لي : أنت من بدأت .. أنت البادئة بما كان بيننا .. أتذكرين ..مرّ عاااام أو مايقارب العام ..

الذكريات وأنا المح قسمات وجهك الغامضة المربكة والمرتبكة في كل زهرة من بستان الذكريات.لقد مر عام أو أعوام ..رأيت بها غضبك ,, صمتك .. حيرتك .. غطرستك ,, حمقك ,, عنادك ..غباءك .. تعسّفك ,,حزنك ..فرحك .. ضحكك..أوما يشابه ذلك .. لا أذكر تحديدا .. عام بل أعوام من الحب إنك االغاضب المحب ,,.

.صاعد هابط وهابط صاعد !! لاهو بباق ولاهو بمغادر في ترنيمة عشق أبديّة , فأقتربت أنا منك أكثر وأكثر وأخذت يداي تتحسّس يداك ... ألم أقل لك أنّ كلّ مابيننا هوتناقض متناقض!!!

(ولكن مهلا .. إنّها ليست البداية التّي تظنّها ... ليست البداية التقليدية أو المادية .. هي ما أعنيها ...قد يكون من بدأ هو من أوحى بذلك ... وقد يكون من بدأ هو من شجّع على بداية الأمر ,, إنها البداية الفعليّة,,

.. البداية ليست دائما تأتي في البداية,, ربما البداية الحقيقيّة تأتي في النهاية!!! !!!

.. ويكون من أنهى هو من بدء! أو العكس ! ووجدت نفسي التفت فجأة ونظري معلّق إلى أعلى حيث الشرخ في مرآتي وكأنّ شوكة غرزت في جانباى ..ومددت يدي بأنامل خائفة مرتعشة وبحذر إقتربت من الشرخ بالمرآة وبحركة خفيفة ثقيلة من أصابعي التّي مرّرتها وأنا أتحسّس الشرخ فوق سطح مرآتي فإذا بقطرات من الدماء تخرج مختالة مزهوّة بنصر قائد عسكري في الحرب .. فصرخت من الألم

وقد تفاجأت بقطرات الدماء تخرج من أناملي ...وتراءى لي طيفك خلف المرآة ..ولم أعد أدرك أو أستطيع أن أحدّد هل هى مرآة الزمن الذي مرّ بيننا والذي سيمّر في خط فاصل مابين الحقيقة والسراب..,,,,الشوق واللهفة,, ا ام الشئ و اللاّشئ !!! أم هي مرآتي التي أرى بها وجهي وأتحسّسه كل صباح .. ثم ألقي على جسدي نظرة خاطفة سريعة وهو يتمايل أمامها.. المرآة! هل هي هذه أم تلك ؟!!!

هل هي هذه أم تلك!!

كل المعالم أمام خريطة الزمن المتعثرة أمام ذاتي وكأنما أحاول رسم حدودها من البداية علّني أعثر على ضالتي المنشودة ..وغايتي الضائعة ,,وتجسدت أمامي خريطة عمري كاملة ,,

في متاهة داخل أروقة الزمن المنسي,,

برز أمامي في تحد صارخ وإبتزاز فاضح لعواطفي ,,.... ولكن طيفك الممشوق

,وأنت تنظر اليّ متأملا كمبتهل في ليل بهيم !

, وتبادلت أناملنا اللمسات واللهفات وجمعنا من رحيق الشوق كل القطرات ,,فإرتشفنا من نهر الحب حتّي جفّت العبارات ,, وذابت لهفة وإشتياقا بين أصابعنا جميع الكلمات !!!! كل هذا وأجسادنا تزداد إقترابا أكثر وأكثر .. لكنّني شعرت بجسد آخر يقف كالسد المنيع فاصلا بيننا ..جسد زجاجي شفّاف بلّوري الملمس .. حاولت أن أتحسّس يداك وأشعر بإحتكاك كلتا أصابعنا ببعضها ...لكن هيهاااات .. إصتدمت يدي بهذا الجسد البلّوري المهول الضخم وكأنه مارد يصرخ في وجهي محذّرا كلانا أن يقترب أيّا منّا أكثر من ذلك ,, أو أن يفكّر أحدنا في إختراقه وإلاّ؟ ..حينها تدفّقت قطرات الدم من يدي وهي تدق ناقوس الخطر وكأنّها تذكّرني بالألم حتّي لاتزداد قطرات الدّماء أكثر فأكثر ..حينها أدركت الأمر ... وعلمت كنهه ... ورأيتك تقترب في تحد لهذا الجسد البلوري والحاجز الزجاجي..فنهرتك صارخة راجية إيّاك ألاّ تفعل ... وإلاّ أصابك ما أصاب أنامل يدي ... وساالت قطرات الدماء من أصابعي وهي تمسح هذا الحاجز الزجاجي الشفاف البلوري حتي غطته الدماء من أصابعي وغاب وجهك عني في ضباب سحابة

كثيفة من الدّماء غاصت في فضاء هذا الجسد البلوري وصوت زئيره الجائع المتعطش لدماء كلينا يصرخ في أذني وأنا أتساءل ماذا لو حاولنا إختراق الجسد البلّوري ؟ ماذا لو تحدّيناه ؟!!! ربما تكون النهاية ,, وقد يسبقنا هو وينهش بمخالبة الحادة البلّوريّة التي يرن صدى أزيزها في سمعي .. ليفتك بشرايين يدي أو يدك أو جزء من جسدي أو جسدك ... فلا مجال للإقتراب أكثر من ذلك ... فالمجال محال ... والمحال ليس بمجال !,...لقد كان الأمر أشبه بحلم منذ بدايته ... حلم وردي لكنه ملطخّ بالدّماء اذا حاول أحد منّا الإقتراب أكثر من مجال الجسد البلّوري الشفّاف ..... !!!!!!!!! لكن أحذر فالجسد البلوري يراني ويرااك,, إرتفاع شاهق يفصل,والويل ....كل الويل لمن يحاول الإقتراب !... وصحوت من نومي فجأة وجلة وأنا أرتعد من خوفي , وكأنّما كيان هذا الجسد الشفّاف البلوري يخترق كل ثنايا جسدي وكأنّه قفز إلى أعماق أحلامي وسبر أغوار منامي ...ليملأ جسدي بجروح ودماء قفزت من الحلم الى الحقيقة ... وتدثّرت بكل الأغطية من حولى وأنا فوق سريري ... علّني أتخلّص من أثر هذا الحلم الغاااامض .....ثم قمت من فوري ولملمت أوراقي وألقيت عليها تحيّة خاصة,,

.. و (جميلا جدا أن تنام وتستيقظ دون أن تجد أيّ رسالة من أحد يخبرك فيها أنه يفتقدك , الوحدة جميلة ياسادة ...وتذكّر دائما أنّه لديك شخص لايغادر ذاكرتك مهما كان السبب لكن الوصول اليه مستحيل جدّا.. لقد كنت أحبك يوما ما ايها الإله ..كما كنت أحبه .. قد كنت أريدك يوما ما ايها الإله كما كنت أحلم به وأريده .. لقد كنت أعشق وأتمنّي القرب منك أيها الإله كما كنت أريد قربه وأعشق حبه .. لقد كنت أظن أيها الإله أنك ستحميني من غدر الزمان كما كنت أظن أنه سيحميني .. كنت أظن أيها الإله انك حنون وأنّك للعذاب والجحيم ابدا لن تلقيني .. كما كنت أحسب انه هو الآخر سوف يدفؤني بحبّة بين أحضانه ويحميني ... كلاكما خذلتماني أيها الإله .. كلاكما خذعتماني بالوهم وكلاكما أردتما لي الخداع وعدم الفهم .. كلاكما عبثتما بمصيري وقدري وكدتما ان تهلكاني لولا أنّي وفي اللحظات الأخيرة وقبل إنتهاء الرمق الأخير إستعدت كياني ,,كلاكما تريدان شئ واحد (انت وأنت وأنت) تريد ذاتك فقط كما يريد هو .. تريد نعيمك في شقاء محبوبك وعبدك الذليل كما يسعى ويهدف هو..كلاكما أدميتما يداي الصغيرتان حينما إقتربت من الحاجز الزجاجي .. أه ثم آآآآه من قيدكما الذي أدمى معصمي لما أبقيه وما أبقى عليّا .. ما إحتفاظي بعهود لم تصونها وعلام الأسر والدنيا لدي .. لقد فقدت تأثيرك وسحرك الذي كان بالنسبة لي أيها الإله ..عندما كنت ساذجة غبية اتحرّق شوقا لك ولا أجدك كما كنت أتحرق شوقا له ثم لا أجد منه سوى الغياب والجحود .. أصبحت عندي غير معبود ولاموجود وفقدتك برغبتي وقناعتي كما أصبح هو الآخر لدي مفقود ,, لقد تخلّيت عن تلك الحالة وأصبح وجودها بداخلي إستحالة .,, وخرجت من دائرة هواك وهواه .. بعدما علمت علم اليقين أنّ الوهم والخداع والكذب أعماك كما أعماه.

خذلان

مؤلم جدا ان تضحك في الوقت الذي يتوجب عليك فيه البكاء!!! ..والأكثر ايلاما بل وذبحا من الوريد للوريد ان تتلقّي صفعة دون ادني سبب او اي ذنب منك ,سوي انك آمنت ..صدّقت ..إعتقدت ...تربّيت ونشأت ..حتي تنفست ما تعتقده بداخلك وسرت دماؤه في عروقك و في كل قطعه وكل خليه من جسدك ...ووجدت بعدها كل من حولك يصفقون لك ويهلّلون ويكبّرون ..ويمجدون صنيعك واعتقادك وايمانك ... لقد ارضعوك كل هذا مع ثدي امك ! انت لم تخترع هذا الإعتقاد ولم تخلق هذا اليقين ..بل تجرعته قطرة قطره منذ لحظة الميلاد ! وعند اول محاولات النطق والكلام .

وقبل ان تنطق بإسم امك او ابيك نطقت بكل ما يؤكد لك ويزرع بداخلك هذا اليقين !!!... انه اهم مافي الوجود وانبل واسمي مايمكن ان تفكر به وتؤمن به ..بل انك شئت ام ابيت عليك ان تقتنع وتصدق وتؤمن بذلك .. والاّ ..... وإلاّ ماذا ؟؟؟؟ الف علامة استفهاام ؟؟؟؟؟؟؟؟ وآلاف من آهاااات التعجب !!!!!! هل حقا سيكون المصير المحتوم جحيم مخلدا ابدي وعذاب سرمدي لكل من ينكر او يخالف هذا اليقين وهذا الايمان ؟ كيف ؟ ومتي ؟ ولماذا ؟ ..ليس لك ان تسأل ..ليس لك ان تعترض ...ليس لك ان تفكر مجرد لحظة تفكير او ذره من شك او تعجب .. ويحك ... ان ذلك قمّة في الحمق واغراق في السفاهةو الجحود !!!!.....

إنّ قدسية وطهارة ايمانك ويقينك ومعتقدك ..لهي اكبر وانبل واعظم من ان تفكّر فيها ولو لثانيه واحده ..انّ سطوع شمس حقيقتها يتجلّي حولك في كل مكان وكل زمان ! الاتري ذلك؟! ..هل اصبت بعمي مفاجئ؟!!..ام انك لاتشعر ولاتحس ..! ام انه لابد وانك فقدت كل حواسك!! ... او فقدت اتزانك واختلّت لديك موازين العقل والحكمه والمشاعر كلهّم جميعا ..!!!!!!!! ثم تتبعك اللعنات ان لم تصدق بعد كل هذا ..!!! اذن انت مؤمن !!! أولابد ان تكون كذلك! .. فالأمر غير قابل للنقاش وغير محتمل للجدال ... انه من المسلّمااااات ... ولايناقش بها سوي كل مختل او مخبووول ....

قمة الصّبر ان تسكت وفي قلبك جرح يتكلم , وان تبتسم وفي عينيك الف دمعه !!!!! ويأتي عليك زمن يمتلئ فيه صدرك بالكلاااااام ان اخرجته آذووك وان ابقيته آذاااك ,,,صدّقوني لقد حاولت ثم حاولت ..آمنت ثم آمنت وصدّقت وصدقت ...صدقت في ايماني وبذلت كل مالدي من اجله .... لكن وفجأه جاء وقت السؤال ...؟ وكأنّ عقلي اعد لي محكمة ...ثم بدأ يحاسبني تاره ويعاتبني تارة اخري ..اهرب منه فيلاحقني ..يطاردني ... ابعده عني فيزداد قربا منّي ... وكأنّما هو مصرّا وهو يلح عليّ بتساؤلاته وعذاباته التي يلقي بها علي كاهلي المتعب من طول الطريق .. طريق بذلت فيه الإيمان والصدق ...لكن وانا في غاية التعب المرييح !!!!

بل وفي غمرة ولذّة نشوته !!! انه تعب نبيل ,نشوة الآلام التي ستوصلني للنعيم الداائم لأسبح في فضاءاات الهناء والسعادة الأبديّه وتحلق اجنحتي بكامل حريّتها في سماء الخلووود ..الذي لايعرف الفناء ولا العدم ... ثم فجأه يطل امامي شبحك ايها العقل لتلحّ علي .. بكلماتك

وتساؤلاتك ؟؟؟ ابتعد عني .. ابتعد ارجوك... مالك ومالي ,اتركني لحال سبيلي وامض بعيدا عنّي ..انك ولابد شيطان رجييم .انت دفعتني دفعا لإرتكاب جريمة كبري ! انت استغلّيت استسلامي لإغوائك لي وارتكبت بإسمي جريمة التفكير!!!! وامطرتني بوابل من التساؤلات الّتي هطلت فوق رأسي بلا رحمة وبلا هواده حتّي اغرقتني في جحيم افكارك وطاردتني بلعنات شكوكك المريبه ..

انت مجرم عنيد ايّها العقل ..مجرم عتييد في الإجرام !!! وضعتني بكل يسر وسهوله في قفص الإتهّام ..اتهام نفسي لي ولومها وتأنيبها واتّهام حبيبتي (هاله) وياويحي وياويلي لو عرف الآخرون او شعر من حولي بجريمتك التي ارتكبتها بإسمي ..لن يرحمني احدا منهم .. وسيشحذ كل منهم سوط لسانه ليجلدني بأقذع الصفات واشد اللعناااات ... ويكيل كل منهم لي اشنع الإتّهامات ... لماذا فعلت معي كل هذا ؟؟؟ لماذا ؟؟؟؟ ياليتك تركتني انعم في هدوء براءتي ونعيم سذاجتي ! ياليتك رحمتني وياليتك ما اعلمتني ولا اخبرتني ... ا نّ نعيم الجهل لهو جنّة حقيقيه ..ورحمة ابديّه .. لماذا اخرجتني من نعيم ولائي وبرائ لإيماني ومعتقدي ؟...

لقد كان هو جواز سفري الوحيد لرحلة ممتعه للعالم الآخر,, انه كان الضمان الأبدي لخلودي في النعيم ..لقد حرمتني ايّها السفّاح الليئم صك الغفران الوحيد .. هل انت فعلا شيطان رجيم ...؟ ام انك كما تقول ملاك رحيم ؟ اجب اجبني ايها الشبح الغامض ... لا ادري لماذا اخضع لك ؟! واركن اليك .. ولا اعلم متي او كيف جعلتني من رعاياك واخضعتني لسلطان مملكتك التي يحكمها قانون المنطق والماده ... انّهما انبل تلميذان في مدرسه العلم الذي يتحدّي ايماني!!!...انت قهرتني بأدلّتك وصرعتني بعقلانيّتك ...

لكني وإلي الآن احاول ان اصارعك واقاومك بما تبقي لي من قوّة ضعيييفة متهالكه امام صرح علمك الشاهق الإرتفاع ومبني منطقك القوي المنيع الحصين ضد سهام جيوش الإيمان التي تنطلق من صدري نحوك فتردّها خائبة مره اخري من حيث اتت لتعود وتشق صدري بجنون تساؤلاتك وشطحات منطقك العجيب ..لكنّي رغم ضعفي احاول ان اقاوم واقاااوم ..بأنفاس ايماني الضعيفة اللاّهثه والتّي تحاول جاهده ان تسابق زمن منطقك وعلمك السريع الفتي .. هذا ما طلبته منّي حبيبتي وخطيبتي (هاله) ..ورجتني ان اصرّ عليه فهو ملاذي الوحيد في مقاومة جيشك الفتّاك ... احاطتني (هاله)بهالة قدسية من انوارها الروحانيه ...

لم تكن (هاله) مجرّد حبيبه او خطيبه فقط..بل كانت النصف الآخر منّي .. والآن وبفضلك يتصارع نصفي مع نصفي !!!! يال هول ما ارتكبته في حقّي ... انّي اهواها لكنّي اخشاها ... لكنّها الآن وبكل ضراعة لإيمانها وثقة في معتقدها تلعب دور الدفاع ..وتحاول في كل مرّه القاها بها ان ان تشخذ في وجهك سيف ايمانها في مرافعة وخطبة عصماء علّها تخرجني من قفص الإتّهام ..ولعلّها تصد عنّي ماقد ينتظرني من لعنااات وطعنات ولكمات بكل انواع الجمل والكلمااات !! علّها تنقذني من براثن مخالب وحشك المفترس الجائع الذي نهش روحي ونبش تحت حطام انقاض بنيان حاضري وماضيّ ومستقبلي !!!! الذين انهاروا جميعهم امام زلزال افكارك وعلمك ومنطقك ...لكن ماذا بعد ؟ .....

انا نفسي لا اعلم مابنفسي !!!هذا ما اجبت به هالة) عندما كنا سويا واحاطتني (هاله) بهالة من نور ايمانها الذي تعتقده وتصر عليه وحاولت جاهدة ان تردني اليه وان تنير دربي بومضات من

سناه حيث اصرت علي اني ظللت الطريق وأتتني غاضبه يمتزج غضبها بحزن عميق ليعلن مزمجرا عن عاصفه ايمانيه قادمه اليّ لتجتثّ كل اثر تركته لدي افكارك ايها العقل او كما تسمّيها هي

ضلالات .. عندما سألتني ونيران الغضب تشتعل من فمها وهي تقول لي : اتعلم ماهو مصيرك المحتوم اذا ما تماديت في عنادك وغيّك ؟ وهل تدرك انّك علي شفا حفره من الهاويه ؟ بل انك ربما تكون سقطت بها فعلا .. اواثق انت انك في كامل وعيك وادراكك ؟ وهل تدرك انك تنتحر !.. وهطلت دموعها مع آخر حرف .. وهي تتوسل الي وترجوني ان اعود الي صوابي واثوب الي رشدي .. يالها من مسكينه خطيبتي ... انها تخشي علي من العقاب ومن الحجيم .. انها تقبع خاضعة لأفكارها وايمانها الذان تمنحهم كل الإخلاص والوفاء ..هي لم تسأل نفسها لحظه واحده ان كان ماهي فيه وما تظنه حقيقه ام خيال؟ان ماتظنه (هاله)حقيقه لهو قصص محكمة الصنع كروايه كاتب متمرّس في الكتابه ..

انها لم تتوقّف لحظه لتنظر حولها او تتردّد في خطوة من خطواتها ..بل انها مشت في طريق الإيمان بلا سؤال وبلا تردد .. لقد اراحت نفسها وعقلها ... واقتربت منها وانا امسح دموعها بأصابع مرتجفه ودمعة تقطر من عيني .. وانا اقول لها : الحياة اما ان تكون مغامرة جريئة اولاااااشئ ..! وحينها ابتعدت عني خطوتين وهي تنتفض كطير جريح وبنظرات متوجّسه فاحصه قائله لي : ان الموقف الذي كلانا فيه يستدعي الحزن والحيطة والحذر .. يستدعي ان تستفت قلبك ... ان تحكّم ضميرك بدلا من عقلك ومنطقك الجاحد هذا الذي ما اراه الاّ موردك موارد الهلاك ... فأجبتها بإبتسامة واثقه مشوبه ببعض الحزن واجبتها من بين سحابة حيرة كثيفه اطلت من بينها كلماتي وانا اتساءل : ياتري مانحن فيه الآن يستدعي التفكير اولا ام الحزن؟ ... يستدعي الضمير ام المنطق ...؟؟؟

انّني وبقدر قربي الذي كنت عليه بقدر ما ابتعد اليوم ! انني بقدر قربي الذي كان اصبحت بعيدا ! وبعدت المسافه كثيرا بيني وبين هذا الايمان الذي تزعمين ... فأجابتني بثقه واثقه وبحده جامحه قائلة : ان الإيمان حالة وجدانيه وشعوريه نقيه خالصه ولو كان هناك دليل منطقي علي هذه الحاله لما كان للإيمان معني او وجود ... عندها برزت لي ايها العقل واشهرت سيف منطقك وعلمك في وجهي وكئنك تربأ بي ان اجيب علي مثل هذه الكلمات ..

ولكأنّك تمزق ماقالته (هاله) في لحظاااات ...اعلم تمام العلم ان منطقك وعلمك الرصين والحصين يرفض كل هذه الخرافات ..ولا يراها سوي خيالات تسبح في فضاءاااااات من الترّهات والخزعبلات ,, التي تغرق في بحورها خطيبتي وتستسلم لها قابعة راضيه هانئة البال وراضية بكل حال ... ماذا عساي ان اقول لها , هل احسدها علي راحة بالها وعلي استسلامها الذي اراح قلبها وعقلها معا ...فأحيانا يكون الجهل بالشئ نعمه ..! ام تراي اشفق لحالها ... ولسذاجة ضميرها ... وحينها سألت نفسي ,, هل ياتري ايّا من كلينا يستحق الشفقة والرثاء؟ هل عساي اكون انا بدون ان ادرك ذلك ؟! يال هول ما انا فيه من عذابات .. وياليتها كانت القاااضيه..الشك يتملكني والحيرة تنهشني وتفترسني بأنيابها الحاده..اتمزق مابين اليأس والأمل...واناارقبك ايها العقل تضحك منّي ملئ فاهك وتسخر من حيرتي ..

فالأمور امامك واضحه تماما او هي باتت كذلك والمنطق لديك جلي ساطع بشعاع العلم ونور المعرفه التي لاتقبل النقاش ..كل ذلك وانا واقف امامك مشدوه الفم منعقد اللّسان وانا اري سخريتك مني ومن حيرتي وبلا شك فالأمر لديك محسوم ...يتحشرج صوتي وتتهدّج الكلمات في حنجرتي وانا استرحمك ان تخفّف من حدّة عنائي ومن وطأة سخريتك ..ارجوك ان تجعل للرحمة مكان لديك,, ارحم اياما كنت اظن فيها اني علي يقين الصواب وطريق الحق ..ارحم احلاما كنت اجري بها خلف السراب ظناّ منّي اني سأطاول النجوم بيدي واركب بساط الريح لنعيم خالد ابدي ..

ارحم قلبا ملأه وهما عذبا لطالما سقاه من كؤوس الأماني ووعود الغفران والسعاده ...ومع كل توسلاتي لازلت اري ضحكاتك وسخريتك من كل ماضي المغيّب ..المقنّع بقناع الروحانيات ونور ويقين المعتقدات ... من اي حجيم اتيتني ؟ لابد انك رسول من الجحيم ..جحيم العقل والتفكير اللذان احكما قبضتهما علي وعلي كل كياني ... ولكن دعني اسألك سؤال ؟ لماذا انت وحدك دائماتملك الحقيقة كامله شفّافه خاليه من اي تجميل او رتوش خادعه ,,حقيقة عاريه .... عاااااريه تماما ؟؟؟؟! لماذا انت وحدك دائما وابدا سيد الموقف والآمر الناهي المسيطر الذي يدع الحد الفاصل في كل الأمور ؟؟؟ انت فقط ..لماذا لماذا لماذا ؟؟؟ ...

اعتقد ان لك كل الحق في ان تسخر منّي .. وكيف لا وانا الذي قضيت عهدا طويلا من حياتي في التزييف للحقائق وتعوّدت طيله مامضي من عمري علي التجميل والرتوش ووضع المساحيييق لكل استفهام او سؤال او حتي خاطرة كانت تمر ببالي وكانت اقرب وابسط اجابه (لاتسألوا عن اشياء إن .....) الي آخره ..انها اجابة مريحه ..لكنها كانت تقتلك ايها العقل ببطء ... كانت تشل حركتك قبل ان تبدأ وتميت تفكيرك قبل ان يولد !!!! لكنك لم تقف عاجزا لفتره طويله امام هذا الخلل وتلك الحكايا المصفوفه التي طالما كانت تثير ضيقك ونفورك بل واشمئزازك ..لكنّك هزمتها وحاربتها بمنطقك وحتميّتك ..وبالرّغم من انّك اانتصرت في النهايه إلاّ انّي لازلت اراك واقفا تهزأ بي وتتأمّل بإستخفاف ما انا عليه من حيره ...هلع ... قلق ...شك ...انّي اقف في منتصف الطريق حائرا بينك وبينها ..انها معشوقتي وحبيبتي (هاله) انّها لاتريدك انّهاتلعنك ,,تبغضك ... وانا ماذا انا وماذا عساي ان اكون؟ او ماذا عساي ان افعل؟؟؟ جلست معها جلستنا الوديه المعتاده قررت في هذا اليوم ان اقرّبها منّي من تفكيري وان اذكّرها بحبنا وارتباطنا القوي المتين ولتعلم انه اقوي من كل معتقداتها وايمانها الذي بات ساذجا جدا بالنسبة لي وليس له اي مبرر ولا اي تفسير منطقي !..

لكنها لم تلبث بعد ان تبادلنا كلمات تحمل من العتاب اكثر مما تحمل من الشوق والعاطفه وحاولت سريعا ان تجذبني لحلبتها وبدأت تصارعني بل انها كانت تصارع افكاري وتصارعك انت ايها العقل وانطلقت صفاره الحكم معلنة بدأ المصارعه وانهالت ضربات افكارها علي علي روحي وعليك ايها العقل ..تري هل ستستطيع مقاومتها ؟ تري من منكما سيغلب وسيكسب الجولة لصالحه ؟ تمنيت من داخلي ان تكسب معشوقتي الجوله! صدقني ايّها العقل لقد تمنّيت لها ان تتغلّب عليك !..تنميت لها ان تهزمك ايها المنطق ! كم كنت سأكون سعيدا غاية السعاده لو كانت هي المنتصره! اراك الآن تتعجب مني وبدهشة لاتخلو من سخريه تقول لما الهزيمه ؟! : وهل يتمني احد الهزيمة لنفسه امام خصمه !! لكن ماذا لو كان

الخصم هو ذاته الحكم !؟ ماذا لو كان خصمك جزءا منك ! انت بالطبع لم ولن تكون ابدا ما في مثل موقفي هذا ,, فمنطقك لايحتمل ولايقبل مجرد وجود ذا المعني ابدا ...

واري اني امامك في موقف لا احسد عليه ... وعندما بدأت (هاله) تنهال بضربات موجعه من الكلمات او هي حسبتها كذلك ... وهي تسألني ... من خلقك .؟ هل خلقت نفسك بنفسك .؟ اتعلم ماهو مصيرك بعد الفناء.؟ وكيف ستواجه هذا المصير المعتم عندما ستكتشف فداحة وبشاعةجرمك وحقارة ماقترفته في حقّ الإله العظيم خالقك وموجدك وموجد كل شئ ؟ انك ستندم حيث لاينفع الندم .وستتثغيث حيت مامن مغيث ... وعند تلك اللحظه نشبت ايها العقل اظافرك في جسد ايمانها وعقيدتها الراسخه ولم تترك لي لحظة او فسحة من وقت ولو لثانيه واحده حتي اساعدها علي ان تصمد امام جبروتك ... ومزقت بسكينك البارده نياط قلبي وقطّعت اورده وشرايين حبّي حتي نزفت تماما وانت تجعلني اسألها قائلا : اجيبيني انت اولا هل هذا الإله الخالق ان كان حقا خالق هل هو (اله سادي,, نرجسي) هل هو الي هذه الدرجه لايحب ولايهتم سوي بالوعيد والتهديد والعقاب والتعذيب ..؟ اخبريني انت اولا لماذا خالقك وخالق الكون كما تدعين لايعبأ بشئ الاّ بالتذلّل والخضوع له فقط ...

ولا يهتم بشئ سوي ان يري عبيدا يتضرّعون له اناء اليل واطراف النهار ! ؟ لماذا يتلذذ عندما يجد من يضيّعون من وقتهم ويهملون مصالحهم بل ويعطلونها ويتنازلوا عن كبيريائهم من اجل يسجدوا ويركعوا ويخشعوا بكل ذل وخضوع لهيبته المزعومه !؟ لماذا يقربهم اليه ويكونون هم الأقرب فقط عندما يسجدون !؟ او بالأحري عندما يكونون في اضعف واكثر الأحوال ذلاّ ؟!! هل هذا هو العدل ؟ وهل هذه هي الرحمه ؟ وهل هذه هي العظمه ؟!! ام انها نرجسيه او ربما مرض او علّة بالنفس تحتاج لعلاج ؟!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! هل يعقل ان يكون هناك اله بهذ المواصفات ؟ ام انها تزّهات وخزعبلاااات بشر اراد بها ما اراد ليخضع بها من اراااد ! ؟ الا ترين معي ان البون شاااسع بين ماترينه في خالقك المزعوم وبين صفات الرحمة والنبل والعدل والحنان والعظمه !!!! فارتد طرفها ناحيتي وبنظرات حارقة سااخطه جازعه وهي تقول لي : كيف تتجرّأ علي خالقك واله الكون بكل هذا الهراء الذي تغرق في ظلماته حتّي اذنيك ؟!!! اذن من يشفيك اذ مامرضت ؟ ومن بيده امرك اذا ما ابتليت ؟ ومن يعطيك اذا ماسألت ؟ ومن يملك زمام امر كل خليّه في جسدك وكل نبضة في قلبك ؟ ومن هو الذي اذا شاء اسكتك في لحظه ؟ وبأمر من تخطوا كل خطوة تمشيها ؟ولأمر من يخضع الكون كلّه ؟ اليس لخالقه ؟ اليس لموجده من العدم ؟ اتستكثر عليه بضع اوقات تتعبد له بها وتشكره علي نعمة التي لاتعد ولاتحصي !!!! ومن ومن ومن ؟؟؟؟ وانهالت بلكمات من كلماتها التي ظنّت بها انّها صعقتك ايّها المنطق ؟ ولكنّك وبكل ثقة وضعت ساقا فوق ساق وبإبتسامة مغرور واثق امرتني بلانقاش فسألتها قائلا : هلاّ اجبتني قبل ان تكملي تساؤلاتك وهجومك الذي تشنّينه علي ...

لماذا يضع هذا الإله نفسه فوق التصوّر والمنطق ..؟ لماذا يختفي ويتواري بعيدا عن الأنظار والأسماع او حتي شئ من ظل او مجرّد خيال او خيط يدلّني علي وجوده او قربه منّي ؟!!! ان كان حقّا قد انعم عليّ بكل هذه النعم ,, لماذا اذا اناديه فلا يجيب ؟ لماذا اصلّي له واكلمه فلا يرد؟ لماذا لا اسمع حتي صوته ؟ ان كان يضنّ عليّ ويربأ بنفسه علي ان يظهر لي او لغيري من عبيده اوخلقة المزعومين ..فلماذا حتّي لا اري ظلا من خياله او حتي همسا من صوته ؟!! لماذا اذا لا اري حتي دليلا يثبت لي ولو من بعيد انه حقيقة وليس مجرد كائن غريب

غاامض وعنيييييد ؟!!! لماذا لايهبط من سماء عليائه ويتواضع الي مستوي عقلي الضعيف المحدود الذي يزعم انّه خالقه واعلم به ليرني نفسه او علي الأقل يشعرني بخيط او شئ المسه واحسّه واثق به ليدلّني علي وجوده بالقرب منّي لماذا لا لماذا ؟؟؟!! لماذا يريدني دائما ان اؤمن به غيبيّا ومن دو حتّي

ان اتأكّد ولو بأقل قدر ثم يكافئني بعد ذلك ؟ لماذا لابد ان ندفع الثمن اولا من المعاناه والعذابات والحيره والشك حتّي نحصل علي النعيم .؟؟؟!! ا ن لم تكن هذه هي السّاديه بعينها والقسوة بذاتها فماذا عساها ان تكون اذن ؟؟؟؟!!!حقّا ياله من خالق واله رحمانا ورحيييم !!!!!!انا مجرّد بشر لا احتمل كل هذا الغموض وليس بإستطاعتي حل هذا اللغز حتّي لو كنت شيطانا رجيييم !!!!! لماذا يتركنا لهذا الغموض ان كان حقّا رحمانا رحيم !!!!!! وهو جالس فوق عرشه يتفرّج ويتسلّي بعذابات كل البشر بل كل الكائنات !!! لماذا يترك الأطفال الأبرياء تموت في الحروب الطاحنه ومن شده الأمراض المزمنه دون ذنب اقترفته ؟؟؟!! لماذا يترك العالم وحيدا ويتخلّي عن هذة الأرض التعسه والتي يتركها للأوبئة والفيضانات والزلازل والبراكين التّي تجتاح العالم بأسره بلارحمه وبلاهواده؟؟؟ وهو يسمع ويشاهد كما تدّعين او كما تظنيين ؟ لماذا ان كان موجودا حقّا يترك الحيوانات الضعيفه لتصبح فريسة سهلة بين انياب حيوان مفترس ؟ هل حقّا خلقت تلك البهائم المسكينه من اجل هذا ؟ ام انه قانون الطبيعة والكون التي لاتطلب منّي ان اتعبّد لها ثم تتركني للحيرة لتنهشني والعذاب الذي ينتظرني ان سألت او ناقشت ؟

لماذا لم يرحم كل هؤلاء المرضي الذين ماتوا من شدة مرضهم وهم ساجدين خاضعين بين يديه ؟!! لماذا لم يرحم هؤلاء اللذي هدّمت فوق رؤسهم دور العباده وهم يتضرّعون له خشيه ورهبة من وعيده وعذابه ..وطمعا في جنته وخوفا من حسابه وعقابه ؟ لماذا لا يهتم بشئ سوي الوعيد والتهديد لكل من يخالف قولا من كلامه الذي في كتبه المزعومه ؟ وكأنّه لايدرك غير لغة التنكيل والتعذيب لكل من يخالف او يسأل ولايجد من مجيييب ؟! انا لم اطلب منه ان يخلقني ...

ولم يكن بيني وبينه ولا حتّي شبه اتفاق او عقد علي تبادل المصالح بيننا فأكون انا العبد المخلوق الضعيف امامه وهو المنعم الخالق الذي يتوجب عليّ ان احمده واتضرّع له واتدلّه في عشقه واترنّم بنعمه ... ياله من اله شرّير !!! لايجد متعته سوي في الإذلال والإخضاع !!! اين الرحمة والعدل في ان يترك كل هذه الكوارث الطبيعيه والأمراض والفيروسااات تفتك بالمخلوقات ويترك الحيوانات تفني وتنقرض ثمّ يدّعي انها من صنعه ..وبعدها يطالب البشر ان يخضعوا ويتضرّعوا له بكل اذلال وخشوع ودون ان يعترضوا او حتّي يتساءلوا!!!لماذا لم يخلق الهك هذا جنّة للطيور والعصافير والحيوانات الأليفة المسكينه ؟ ولماذا لم يخلق جحيما وتنكيلا للوحوش الضاريه المفترسه الشرسه ؟ لماذا ترك مصيرهم للتراب فقط؟ لماذا لم يخلق لهم البديل ؟ او يخلقهم علي هيئة غير تلك الهيئة الشرسه المتوحشّه ؟..

لماذا يصمت ويسكت ويكتفي بدور المتفرّج ان كانت لديه كل الحلول التي لا تخطر علي عقل بشر؟!!! ان كان بيده حقّا ان يرحم الضعيف او يمنع عنه كل مايحدث فلماذا يتركه يتخبط في غياهب الحياه السحيقه المظلمه ويتركه يتصارع ومن ثمّ يمرض ويموت دونما ادني تدخل منه

؟؟؟!!! هل لهذا حكمه !!! يالها من سخريه !!!! انها حجّة العاجز .. ودليل التّائه ... الذي لايجد له مخرجا سوي هذا الإدّعاء الباطل ... وبعد كل هذا تؤمنين له وتخضعين !!! وبه تصدّقين !!! لو كان هناك اله حقّا لما ارتضي لهذا الكوكب المنكوب او لهذه المخلوقات كل مايحدث ... لو كان عظيما لما قبل بكل هذا العبث القدري الصّاخب !!!! ياااله من اله وخالق عجيب وغرييب !!!! اراه لايري سوي نفسه .ولايحب سوي مجده !!! واقتربت منها وانا اقول هامسا وبنبرة حزينه : الاترين ان ذلك محض خيال وعبث لاطائل منه ..

الم تدرك بعد انه كائن خرافي وهمي بشري يحمل صفات من ابتدعوه ليركن اليهم من يريدون خائفيين ويهرعو اليهم طاائعين ... انه التزاوج بالإتّفاق والتراضي ياعزيزتي بين الدين والسياسه ,,حتي اذا ما تكاثرا انجبا لنا شعوبا طائعه خاضعه لاتملك من امر نفسهاشئ... إنّها عبقريّه الإخضاع بالترهيب والترغيب لمن يسمع ويطيع وإلاّ لايلومنّ الاّ نفسه .... كل هذا وهي تنظر اليّ بنظرااات هائجة اطاائشه متفحصّه متوجسّه لكأنّما تتأمّل مريضا عقليّا او هاربا من مشفى للمجانيين !!!!! وبنبرة حزينة والدموع تكاد تهطل بغزارة من عيني قلت لها : كنت اتمنّي ان اكون مخطأ ... كم كنت اتمنّي .. لكن وجدت المنطق والأدله والإثباتات اتحدّت جميعها ضدّي في مؤامرة واحاطتني بأسوار ضخمه وسدود منيعه قويّه من العلم واليقين الذي لابقبل الشك ...

فأجابتي بشجن اطبق علي صوتها المختنق قائله : اذن انت ترسم حدود النهايه وتضع الحواجز وتسدل الستار علي كل مابيننا .. وبنبرة اشد شجنا واعمق حزنا قلت لها وانا اركع امامها متوسّلا : فلتذبحيني بسكّين ايمانك ودينك ولتقتليني بقوّة معتقدك ويقينك ولتثبتي لي انّي علي ضلال وما اقوله خيال بخياال ... فلتسكتي صوت العلم الجهوري ولتخرسي لسان المنطق الحتمي ولتطمسي عين الحقيقة كامله.. ان استطعت فلك مّني كل الولاء والطّاعه ...

وها نحن ذا في قلب المعركه ... فليظهر الإله المزعوم وليثبت وجوده وليعلن عن نفسه لعباده المساكين المتضرعّين ..وليرينا معجزة من معجزاته ليشفي بها كل مريض بدون دواء !!!! وليعطي كل محتاج لكساء او غذاء !!! ولا تقولي لي ان زمن المعجزاات قد انتهي ولم يعد الإله المسكين قادرا علي الإتيان بمعجزه ... هذا ان كان هناك معجزاات من الأصل ... تري هل كبر الهك واصبح طاعنا في السن وخاارت قواه فهو لايستطيع فعل ما اطلبه ؟؟؟!!! وفي وسط موجه من الصمت الرهيب المريب اجابتني بثقة قاائله : الم تسمع عن كل هؤلاء المرضي المؤمنين المصليّن الذين كانوا للإله دائما متوسلين خاضعين ثم شفاهم الخالق العظيم بدون علاج او دواء سبحانه وتعالي عمّا تصفون !!!

ألم يصل الي مسامعك قصص هؤلاء المحتاجين اللذين وجدوا امام ابواب بيوتهم الكساء والغذاء والدواء من دون ان يعلموا متي او من ؟؟! انّها من فيوضات رحمته وواسع بركاته سبحانه وتعالي عمّا تصفون!!! فضحكت بصوت متهدّج مشحون بحزن غاضب هائج وانا اقول لها : لاتزيديني شقاء علي شقائي وحزنا علي حزني... انّك كمن يفسّر الماء بعد الجهد بالماء !!!اري انّ ربّ ّ ّ ّ ّك والهك يختار من عبادة المؤمنين الخاشعين له السابحين في تأمل ملكوته بعض منهم ليشفيهم ثم يترك البّاقين يتضوروا جوعا ويموتوا الما ووجعا !!!! ام انّه ياتري يعطينا

مجرد مثال بسيط علي قدرته الجبّاره فقط وليس الآ.. ثم لايلبث ان يكف يديه الكريمتين عن ايّ شفاء او كل عطاااء ..

ياله من عدل ظاااالم !!!وما ابشعها من صورة مشوّهة للرحمه والشفقه والعدل الإلهي!!!!!! ام انّه منشغل وليس لديه الوقت الكافي لشفاء كل المرضي او العناية بالمحتاجين والمساكين!!! هل ياتري لأنّه اكبر واسمي من ان يضيّع وقته الثمين مع مثل هؤلاء الرعاع !!! ام لأنّه يري انّهم فقط مطالبون بعبادته والتضرّع له عرفانا بالجميل لأنّه يكفيهم شرفا انّه خلقهم واوجدهم ومن فيض نورانيّته وعظمته ابدعهم !!!! ومن بعد ذلك فليذهبوا للجحيم وليمرضوا واو ليجوعوا واو ليشقوا او ليتعرّوا.. هذا امر لايعنيه ولايهمّه بتاتا فهو الإله الأوحد وكفي !!!!!! هل هذا اله حقيقي ؟!!!! اشك ..اشك كثيرا كثيرااااااا ....

انّه اكبر واقوي مسمار ادقّه في نعش الدين بل كل او اي دين ... انّها لقصص واساطير خرافيه انّما جعلت للسيطره واختلقت للتخويف والتحكّم وانا اربأ بنفسي علي ان اصدّق مثل هذه الخيالات .. اعلم ياحبيبتي اني قد اكون صدمتك .. او انّني قتلت بداخلك اخلاصك لدينك ولإلهك والذي كنت تحسبين انّ فيه خلاصك ...عندها وفي تلك اللحظة التي لن انساها ماحييت ارتعدت وانتفضت حبيبتي (هاله) وابتعدت عنّي وبحزم قائد حربي اصدرت اوامرها لجيش من الكلمات انهالت من بين شفتيها كسيول من سيوف وهي تقول لي : بل انّك دققت اوّل واكبر وآخر مسمار في نعش حبّنا وكل مابيننا .... انت الآن بعيد عنّي كل البعد,,فلتبتعد بقدر ماكنت قريب ...

ولسوف اكرهك بقدر ماكنت حبيبيب ! لن اسمح لمخالب افكارك ان تفترس وتنهش وتسمّم ماتبقي ليا من روح مؤمنه تقاوم عنادك ,,ولتبقي وحيدا بعيدا غارقا في فسادك .... فالمرض قد استشري بداخلك والجرح تسممّ ولم يعد هناك بد من القطع والبتر .... إنّي اسألك الرحيل ... ارحل من حياتي للأبد .... ومضت وقد تركت خلفها دموعا صاامته خرساااء تنساب فوق وجهي وتمزّق نياط قلبي قبل ان تغرقه في بحورها السوداء ..وحينها التفتت اليك ايّها العقل وانا اسألك ماذا كان سيضيرك لو تركت ليا المجال لأتركها تكسب الجوله ...؟ ماذا كان سيضيرك ايها العقل لو لم تحكم قبضتك علي ؟ ماذا لو كنت تركت ليا فسحة او متنفسّا من العاطفة التي دفنتها في اغوارك السحيقه ؟ الا يجدر بك ان تتقبّل الهزيمة ولو لمرّه واحده من اجل حبيبتي التي كانت ؟الا تتنازل ايّها العقل عن كبرياءك ولو لبضع ساعات او حتّي لبضع دقائق !!!!يالك من مغرور متعجرف قاس ..

لاتعرف الهزيمة ابدا ولاتعترف بها ...انّك سيف علمك البتّار وقوّة منطقك لايعترفان بالحب ولايعرفان العواطف ولايسمحان بالمجامله او المداراااه ... الا تعلم ايّها العقل ان عين الرضا عن كل عيب كليله وعين السخط تبدي المساوئ...لكن كيف لك ان تعلم او تقنع بتلك امور ؟ انّها خارج دائرة منطقك وخارج حدود حساباتك التي لاتعرف ولاتعترف الآ باليقين وبالدليل ومن ثمّ الدليل .. آآآه منك ايها العقل ثمّ آآآه .. اذقتني مرارتك وعلّمتني مخافتك ....

والآن اسير وحدي اصارع تلك الحياة وتصارعني ... وانا انظر حولي رافعا راسي الي السماء ابعثرها بنظرات فاحصه وانقّب فيها وانا حائرا وكأنّي اتلمّس وجودك ايّها الإله ..هل انت حقا قد تكون موجودا ؟ اجبني !! انّي اتساءل ..ان كنت حقا هناك فلتخمد ثورة الشّك ولتطفئ نيران

الحيرة التّي قتلتني وتقتلني في كل لحظه ...اجب اجبني ... ولتقذني من عذاباتي ... اما من مجيب ..اما من صوت يقطع لسان العقل السلييبط هذا ؟!!!وتساقطت الدموع الخرساء الكسيحه من عيني وانا اردّد قائلا: لقد تعلّمت منك ايّتها الحياة ان ابكي في زاوية لايراني فيها احد ثم امسح دموعي واخرج للنّاس مبتسما ...

لكنك ستظلّين عزائي الوحيد ايتّها الدموع فأنت لقلبي كالماء للسمكه...لقد ايقنت انّه ليس المهم ان يموت الإنسان قبل ان يجد الحقيقه ويحقّق فكرته النبيله ..بل المهم هو ان يجد لنفسه فكرة نبيله قبل ان يموت ....إن الأفيال عندما تشعر بقرب نهايتها ودنو اجلها تذهب للمقبره في انتظاااار النهاية في هدوووووء ,, هناك صمت انيق لايسمح لنا بالبوح مهما كاااان الوجع .

الكمال

هناك .....بينة وبين قلبة يكمن سرا خطير ..من نوع غريب ؟.. سرا لايعلم أحد عنة شئ البتة .. حتّي هو نفسة لايبوح بهذا السر لنفسة .. إنة يخبؤّة فقط بين ضلوعة ولايجرؤ علي الخوض فية حتي بينة وبين هذا القلب ,خشية أن تشي بة نفسة لأحدهم في غفلة من الزمان ودون أن يدري..لكنة وبمرور الوقت أخذ يشعر أنة ناء بحمل هذا السر طويلا ,كجمل صلب يحمل الأثقال لكن الثقل أطاح بكاهل هذا الجمل أو كاد!.. هكذا كان يفكّر الدكتور (حسين) أو هذا ماكان يخشاة , أن ينكشف أمر مايفكّر بة طيلة الليل والنهار , ويحار فية!
فينتهي بة الطريق الذي يترآئ أمامة قبل أن يبدأ ! وتموت الحياة قبل ميلادها أمام عينية وتسيل منها الأحلام وتراق كدم الطير الذبيح ! يقال دائما أن الطّبيب إذا تأثّر بالحالة التي يعالجها وأحبها وتعلق بها أكثر مما ينبغي فحتما ستكون النتيجة سلبية وستضعف من قّوة العلاج ..هذاهو المبدأ الذي تعلمة الدكتور (حسين) وطالما طبّقة خلال حياتة العمليّة ..
وبخاصة أثناء دراستة للطب النفسي .. حيث كان الطب النفسي أكثر شئ تعلّق منذ دراستة بالمرحلة الثانوية حيث كانت دائما ما تستهوية كتب علم النفس كثيرا..
وما أكثرها تلك المرات التي كان يطبّق فيها مايقرأة في تعاملاتة مع البشر من حولة بلا إستثناء ..فكل البشرهم لدية سواء.. إنّهم بشر تجمعهم الفضيلة وتفرّقهم الرذيلة ..
كان يؤمن دائما بأن الخير في الإنسان هو الأصل وأن الشر هو الدّخيل الذي يفرّق ويخرّب ويحرق ويدمّر إذا إقتضي الأمر .. لذلك كان يحلّل الشخصيات الّتي يقابلها في حياتة ويغوص في أعماق الأنفس ويتعايش معها .. وكم كان يطيب له أن يبيت اللّيالي ساهرا يفكّر في تفسير بعض التصرفات التي تلفت نظره ويري بها غرابه أو خروج عن المألوف ..

ولم يكن يهدأ لة بال حتي يقرأ كل الكتب التي يجد فيها المواضيع والأبحاث العلميه والمقالات التّي يجد بها ضالته المنشوده وتهتدي بها حيرته ,
كعابرسبيل يبحث عن مأوي يأوي ليلة واحده كي يتقي شر برد ليلة ممطرة كئيبه ..
فلا يهنأ لة بال ولايرتاح إلاّ إذا وصل لنتيجة ترضية, والتي تصبح
واضحة جلية أمامة كوضوح الشمس في كبد السماء قت الظهيرة ...كان يعيش مع روح الشخصية فتتجسد أمامة حتي تصبح واقعا لايمكن إحتمال مجرد تكذيبة ولو للحظة واحدة! فتفتح داخل لاوعية بوابة مابين الواقع والخيال ! فيختلط كلاهما كما يختلط ماء المطرالنقي بتراب الأرض ليصبح كيان واحدا متجانسا .. لم يكن (حسين) طبيبا عاديا .. لم يكن الشكل النمطي المتعارف علية لأي طبيب نفسي ..قد يظنة البعض هو نفسة المريض .. وبخاصة عندما ينظر لشعرة المتهدل بإهمال حول جبينة الخمري كضفائرطفلة مشاغبة .. وشفتاة المنتفختان البارزتان في شبة دهشة وتساؤل لاينقطع فوق ذقنة المدبّب النحيف .. وكانت أكتافة العريضة وطوله الفارع يظهرانة كفارس يحارب طواحين الهواء ك(دون كي شوت)
لقد كان من عادته أن يتحد مع المريض فيصبحان سواء .. ربما تكون طريقة جديدة في العلاج كان يختلف كثيرا عن غيرة ومع غيرة ..لكنة كان وسط كل ذلك كان يبحث عن شئ غير مجود.. أو شئ نادر الوجود ..وقد يكون غير موجود! إنة الشئ الذي لاينقصة شئ!!! والصفه التي لاتفوقها صفة ! إنة الدواء لكل داء ..شئ ليس يوجد داخل الأجساد التي كبّلتها الغرائز فحطّت من قدرها ذاتها وأنقصت من عنفوان وعفوية روحها ..وفي أحيانا كثيرة تغرق تلك الأجساد في بحور ذنوبها وآثامها .. أو علي الأقل يغرق جزء منها ..انها الحياه .. بكل تفاصيلها المزعجه .. الغريبه والمملة في اغلب الاحياانن .... انه يراها احيانا تبدو كمرآة الوناباركك !!!تعكس حقيقة مؤلمه ومرّه تظهر الاشكال والاجسالد طولية اومنبعجه واحيانا مستديرة وسمينه!!! لاشئ حقيقة ثابته في هذه الحياة .. كل شئ يتغير والكل قبض الريح لامحاله ... لا ابعاد لا مسافاات ... لاشئ ثابت .. لاشئ ؟! إذن ..اين الحقيقه ؟ لماذا دائما تطفو علي السطح مقنعه .. ملغّمه بكل الرغبات المكبوته التي دئما ماتشوهها وتقضي علي مابقي منها علي البراءة والنقاء... انها تطفو كالإسفنجة فوق مياة البحر.. فلاهو منفصل عنها ولاهو متصل بها !كريشة من جناح طائر معلقة وسط الهواء تذروها الرياح فلاهي تصل الي الأرض ولاهي ستعود لتلتصق مرة أخري بجناح الطائر ..وهكذا تبقي الحقيقة مبهمة غامضة للأبد لاينجلي غموضها ولابشكل من الأشكال ..بل لها الف وجه ووجة.. إنها تتبدل وتتحوّل وتهرب كالزّئبق كيفما تشاء ..انة سر دفين ولغز محيّر من الصعب كشفة , ولو إنكشف هذا السر ربّما كانت النهاية.. وذات يوم كان الدكتور حسين يجلس جلستة المعتادة متكأ علي كرسية الجلدي المريح أمام مكتبة الخشبي العريض وأمام باب غرفة عيادتة دخلت سيدة شابة في مقتبل العمر بعد أن طلبت الإذن بالدخول من الباش تمرجي ودخلت تلك المريضة في ذاك الوقت ودون أن ينتبة لها الدكتور حسين حيث كان مستغرقا في القراءة في إحدي الأبحاث العلمية الهامة في علم النفس ..وكان البحث يتحدث عن العقل الباطن

واللاّوعي ويشبة العقل الباطن بغرفة من الكراكيب وهي غرفة مليئة بالعديد من الرموز المخزنة بداخلها والكثير من الأشياء التّي تحدث في حياتنا منذ الطفولة أو حتي ربّما قبل ذلك بمراحل وربّما منذ أن كان جنينا !لكنّها كلها رموز يصعب فك شفرتها ورموزها الاّ عن طريق المصادفة أو الأحلام .. وتصاعد دخان غليونة الذي إعتاد ان يدخّنة حتي أصبح كساحبة كثيفة في يوم ممطر حجبت أشعة الشمس فكانت حائل بينة وبين تلك الوردة الجورية الحمراء التي غطي دخان الغليون وجهها كما يغطي الشال الأبيض الشفاف وجه العروس ليلة زفافها ..فهوت علي الكرسي الذي أمامة وصاحب جلستها سعال خفيف بسبب سحابة دخان الغليون فكانت حشرجة رقيقة ناعمة كأنّها حفيف ورقة شجر سنديان أخضر ..وبإلتفاتة هامسة كالتفاتة فراشة تحمل كل الوان الطيف فوق جناحيها الرقيقين نحو زهرة يانعة نضرة مثل لون خديها جلست أمامة في دلال .. لكن الدكتور حسين لم يلتفت الي كل ذلك !فقد كان مستغرقا في قراءة بحثة الذي شغلة وفصلة تماما عن الواقع لدرجة أنة لم يلحظ التفاتتها الحانية نحوة ولم يشم حتي رائحة عطرها الأخّاذ وهي تهبط علي الكرسي المقابل لمكتبة فبدت كأنها قطعة من السماء أ فيضا خاطفا أتي من بعيد ليخطف القلوب والأبصار ..وبدت كأنها معتادة علي المكان !ثم همست بصتها الحاني الوقور (مساء الخير يادكتور حسين ..لكنة سرعان ماأحس فجأة بشئ من إلهام أو وحي هبط علية من السماء..ليبث لة خبرا من العالم الآخر أو يزف لة بشري ! شعر للوهلة الأولي أن ماسيتلقاة أ ماسيسمعه مختلف عن كل المشاكل والمتاعب التي إكتظت بها العيادة كما تمتلئ الجرة بالماء حتي يفيض منها .. ووجد نفسة فجأة بعد أن إنتبة لوجودها مبهورا بحسنها وجمالها الذي خالطة وقار كما يخالط ندي الصباح الباكر رحيق الأزهار الجميلة وهي تتفتح مع بداية فجر جديد .. وكان هدوءها يمازجة غموض ضبابي كسحابة غطت وجة النهار المشرق.. وشعر ه علي الفور أنة محبوس داخل قفص بابة مفتوح لكنة بالرغم من ذلك لايستطيع الخروج ! ثم بدأت هي تسترسل في حديثها علي الفور وكأنّهما كانا علي ميعاد ..وبدون سابق إنذار راحت تتنهد بعمق دفين كالسر القديم الذي يعلن عن بدء إنكشافة فجأة..

وبحرارة لفحت وجهه كحرارة صيف في شهر أغسطس وبلهيب مستعر قالت :

--أنا (نورا) إسمي (نورا) ..لكن بالرغم من ذلك كل من حولي يشيعون حولي الظلام الحالك , ويطفئون نوري في كل دقيقة وينتهكون روحي ..بل إنهم ينالون من ذاتي ومن حياتي ..فسألها هو بإندفاع وبلهفة بعد أن خلع نظارة وأزاحها عن وجهه كمن ينزع حملا ثقيلا جثم علي صدرة ثم مال ناحيتها وبنظرات متفحصة زكأنة يتأمل جوهرة باهظة الثمن ليقدر حجمها ويثمنها وبتساؤل تملؤة اللهفة والحيرة ويشوبة الغموض قال :

---لماذا يفعلون ذلك ؟ ولما ؟.

جاوبتة هي شاردة بخيالها لبعيد أبعد من حدود المسافات والأزمان وكأنها دخلت لعالم من العوالم العليا سبحت في أنهارة العميقة حتي كادت أن تغرق وقالت :

---أتذكر القصة القديمة التي تحكي عن (نهر الجنون) ...
---نعم أذكرهاأحفها عن ظهر قلب ...
--نظرت في عينية وكأنها تستغيث بهما كغريق تعلق بأهداب الأمل في اللحظة الأخيرة قالت لة بصوت متهدج يملؤة الحزن : --إنهم يريدنني أن أشرب من نهر الجنون ...
وبحيرة إرتسمت علي داخل عينية سألها :
--وكيف ذلك ؟
---بنفس الطريقة التي التي حدثت مع الملك والوزير الذان رفضا أن يشربا من نهر الجنون بعد أن شرب كل من في المدينة من نهر الجنون وأصبحوا مجانين وعندما لم يكن هناك سوي الملك ووزيرة العاقلين الوحيدين إتهموهما بالجنون ..لالشئ سوا لأنهما مختلفين عن الباقين ! وبمرارة بالغة إبتلعتها مع ريقها كالسم الزعاف الذي إكتشف أحدهم في اللحظة الأخيرة إنة إبتلعة مع طعامة دون أن يدري قائلة :
---لذلك إضر الملك والوزير أن يصبحا مثل باقي الناس ويشربا من نهر الجنون كي يصبحا عاقلين ..
ثم نظرت الية فجأة كأنها نائم إستفاق من غفوة عميقة أو زائر أتي من مكان بعيد وبحسرة تملؤها الغيظ قالت :
---ألا تعلم أن من يختلف عن غيرة أو يتميز بشئ ما يتهم بالجنون!...
وبصوت مستسلم يشوبة اليأس وتملؤة تنهية طويلة متوجعه جاوبها قائلا :
---حتي لوكان من حولة هم المجانين وهم المخطئين ! أعلم هذا الهوس جيدا .. إنة نوع من المشاركة أو التشابة ..إنها هي ذاتها (ثقافة القطيع) الذي لايحيد دائما وأبدا عن مسارة المرسوم لة ..وإلا كانت النهاية .. فلو تشابة الكل حتي ولو في الخطأ فهم علي صواب ..
فأكملت حديثة وكأنها تصل ماإنقطع وبيأس بنبرة مرتعشة قالت :
---فإذا إنشق الفرد أصبح هو الخطأ بعينة ..وإنما بضدّها تتمايز الأشياء ...
---وبلهفة قال : ---لماذا أنت الضد ؟..ولماذا لاتكونين واحدة من أفراد القطيع ؟...
--فجأوبتة بثقة وبنبرة مشحوذة بالإصرار وبالتّحدي كنصل سيف لقائد عظيم لم يهزم قط في معركة وبثقة مبالغ فيها قالت : لأني لاأعرف النقص لا أعرف الخطأ ...
--- وبإعتراض قال :- ومن منا لايعرف النقص أو الخطأ ..
فتنهدت وبتيقن مصحوبا بنبرة تحدّي كالأمطار الرعدية المصحوبة بالرعود وقالت :
---أنا .. إني أؤكد لك أني لاأعرف الخطأ ولا النقص ..لأنني دائما أبحث في كل الصفات عن الشئ اللذي لاينقصة أي شئ !!!
--نظر اليها متسائلا وقد إزدادت إعتراضة حنقة قائلا :
---هل تعنين ماتقولين ؟.. إن ماتقولينة ضرب من ضروب الوهم أو الجنون ,, إنني وبعد كل ماقرأتة وكل مادرستة تيقنت أنة لاتوجد حقيقة مطلقة في هذة الحياة ..فلكل لاحقيقة ألف وجه

والف لون وألف معني ..والكذبة دائما مل تندس بين حقيقتين كالجاسوس المتمرّس في عملة ..وبتمني وبتلهف كان يقطر من صوتها كما تخرج قطرات العسل من جسد النحلة الرقيق وقالت : لكن شيئا ما يبقي ودائما يبقي المعني المختلف المتميّز الصّادق الذّي لاتشوبة شائبة والذّي يرنوا الجميع الية كما يرنوا الناظرين لشهب أو نيزك يلمع وهو سابحا يغوص في أعماق السماء بل ويتمني الكل أن يغترف ويروي ظمأة من هذا النهر الخالد الذي تضج أمواجة بالعذوبة وبالشفافية والنقاء .إنة شئ أقرب للنور لكن ليس الجميع في فلكة يدور.. وكثيرا ماتأخذنا الإغراءات وتجذبنا كالمغناطيس تجاهها فتكبلنا النزعات التي ترزح تحت وطأتها اجسادنا وتتحكم في مسار إتجاهنا وتجلدنا بسياط المصالح فيختلط الصالح بالطالح.. فنظرت الية هي مازالت علي إصرارها وثقتها وبدا علي وجهها شحوب هبطت اهداب عينها الي الأسفل من بين ظلال الخريف التي اطلت من وجهها فكانت كأوراق الشجر المتساقطة وبنبرة متهدجة تضج بالشجن اليأس قالت :---لكنني لست كذلك ,,انا أختلف عنهم ...

نظر اليها من بين الضباب المتصاعد من بين السّحب الكثيفة التي تنبعث من غليونة ثم أخذ نفسا من غليونة وبنبرة تحمل الكثير من التردّد والحيرة والقليل من الإعتراض قائلا :

---أري أنك تبالغين بعض الشئ في وصف ذاتك والتعبير عن صفاتك!إننا جميعنا مهما علا قدرنا أو إرتفع شأننا فالخطأ هو المصير المحتوم لنا ..لئن الكون كلة مبني علي نظرية النسبية ..فما هو صحيح لديك قد يكون هو الخطأ بعينة لدي الآخرين .. والعكس صحيح أيضا ..

فمالت ناحية مكتبة للأمام قليلا بإنحناءة خفيفة كزهرة مالت مع النسيم العليل وبنظرة تحدي ثبتّت عيناها بعينية بنفس ثقتها الزائدة قالت :

--إنني لا أخطأ أبدا ولن أخطئ ..أنا أبحث عن الحقيقة دائما ..الحيقة الصادقة الشفافة التي لاتشوبها شائبة وأربؤ بذاتي عن كل ماهوعيب أو نقصان .. حتي لو إضّررت إلي دفع كل حواسي دفعا الي الحرمان !فجاوبها وهو يضع غليونة أمامة وبإصرارا وبنبرة لاتخلو من الشجن قائلا :

--- وهنا بالضّبط تكمن مشكلتك .. فالحرمان يولد النقص والنقص إبن بار للحرمان ..ان النفس البشرية كالقنبلة الموقوتة إذا ضغطت فستنفجر ,,وأنا أري أن هناك علاقة شائكة أو خيط رفيع بين الخطأ والصواب كما هو الحال تماما كالخيط الرفيع بين الحقيقة والسراب..

تهنيدة خرجت زفرتها حائرة بين شفتية كفرخ ير حديث الولادة يبحث عن عش يأوية وقال: --- اتعلمين لماذا؟.. ومن أين وكيف نشأت هذة العلاقة ؟...

--فجاوبتة ب حيرة أكبر من حيرتة بدت تبدت علي وجهها الذي غيمت علية سحابة ضبابية غطت ملامحة الوديعة وبيأس قالت :---لقد أتيت اليك عندما أن لدي رغبة جامحة لكي أعلم عن نفسي ماكنت أعتقد أني أعلمة .

شرد بخيالة بعيدا وكأنة نجم شارد تاه وغاب في سماء ملبده بالغيوم وتنهد قائلا :-
-هناك بعيدا داخل اللاّوعي بوابة بين الواقع والخيال ودائما ماتفصل هذة البوابة بين الوهم والحقيقه ,,لكن هذة البوابة فتحت لديك بين كلاهما فإمتزج الواقع بالخيال !
فإرتسمت بعض ملامح القلق علي وجهها وإختلطت بشئ من الخوف كما يختلط الماء باللبن قائلة : إن العقل هذا شئ مخيف , إنة يصوّر الخيال كما يصور الحقيقة وبنفس الكفاءة والقدرة فيرتدي السراب ثوب الحقيقة وينحسر عن جسد الوهم ولايتركه ولو لدقيقة !
---أتري أنني أعيش في الخيال ؟..
فنظر اليها وبنبرة واثقة أجابها قائلا :
---بكل تأكيد ...
فبادلتة نظراتة الباهتة الشاردة بتعجب وبحيرة قالت :
---ومن أين لك بكل هذة الثقة والتيقّن ؟.
---بإستسلام وبنبرة شجن أجابها قائلا :
---لأنّي مثلك تماما ,, فكست الدهشة ملامحها وغطّتة كما تغطي السحب وجة الشمس المشرق وإنتفضت كإنتفاضة الطّير الذبيح الذي يرقص من شدّة الألم لا الفرح وإلتفتت الية قائلة :-كيف هذا ؟ كيف تكون مثلي ؟.. أنا لست كأحد ...
ظل هو قابعا مكانة في هدوء وبإصرار جابها قائلا :---
---لأني طوال حياتي أبحث مثلك عن ذاك الشئ الذي لاينقصة شئ !!!
وغيم اليأس علي وجهه وكساة بلون ضبابي وهو يقول :-لكني شعرت خلال رحلة بحثي عنه أنه غيرموجود علي وجه الأرض ..إنة لايحي لايستطيع ان يحي وسط غش البشر وخداعهم ونوازعهم التي يخترقها الشر في كل لحظة , .
فجاوبتة وكأنها تصل حديثا إنقطع وبحرارة بلهفة قائلة :
--إنة لابد يحي في السماء بين السحاب والنجوم والكواكب أو بين الذات العليا ..أو ربّما يحي بين الملائكه في العالم العلوي الغامض الذي لانعلم نحن عنة شئ .. إنة العالم الآخر ليس كمثل عالمنا .
رد بإهتمام بإصرار قائلا :--- هذا ماتوصلت اليه أخيرا,, لأن البشر تولد بينهم الخطيئة ودائما ماتختفي الحقيقه وتتواري وترتدي أقنعه عديده حتي تصبح كاللص الذي يختفي ويذوب بين الناس كقطعة الثلج تحت الماء ,فلا يراه أحد ولايصل اليه كائنا من كان ..
فيظل يتسلّل وسط الزحام ليعبث بين البشر اللذين لعبت بهم الأقدار .انها الحقيقة الوهميه أو الوهم الحقيقي . والكذب دائما مايندس كاجاسوس بين حقيقتين !
إنها مؤامره كونيه أة مكيده مدبرة إشتركت جميع الشياطين في تدبيرها ! بل وإتخذت كل الحيل اللاّزمه لإتقانها منذ بدء الخليقة...
---تنهّدت بحزن وبشجن قالت :- بالرغم من إني مازلت في العشرين من عمري إلاّ أنّي أشعر

بأني عجوز في الستين من عمري!وكثيرا ممن يعرفون شخصيتي عن قرب كانوا دائما يقولون لي (إنتي مش بنت دنيا), وكأنّني لست من هذا العالم ..أوكأنّني لست محسوبة علي البشر , إن بحثي الدائم عن الشئ الذي لاينقصة شئ يعتبر في نظرهم شئ شاذ ,مخالف لناموس الحياة وطبيعة الدنيا التي نحياها ! قد تكون هذة الصفة لاتتفق مع صفات البشر وجنسهم .. وإنفجرت منها دمعها فجأة علي إثر كلماتها تلك كينبوع صاف انفجر من أرض قاحلة فأغرقها بمياهها بعد أن كانت قحطاء جافة وإنخرت في بكاء مرير وهبطت دموعها حائرة علي خديها كعابر السبيل وبصوت يغلي كغليان البركان وبحرارة قالت :-
إني أشعر بأني ميّتة ,ميتّة , ميّتة , ثم فجأه وبعد أن سالت دمعه حاره هبطت علي خديها وكأنما هي بقايا لتحولات نيران بركان يغلي ومن حرارة جوفة بكت كل الحمم البركانية بداخلة أو كأنما هي تبتلات عابد وتأملاتة تحت أة شمس محرقة لربه يشتكي قامت من فورها متجهة نحو باب العياده .. لكنه لاحظ شيئا غريبا جدا عندما همت بالتوجة لخارج باب العياده !!!ان صرتها لم تنعكس في المرآة التي كان يضعها عند باب عيادتة !!!!!!!!!!!!
وقام منتفضا من مكانه وكأن عقربا لدغة لدغة سامة سري السم في جسدة في التو..
وتساءل بحيرة سرت رجفة وجل رهبة علي شفتية قائلا : إنها روح وليست جسد !!!
إن ماحدث ليس لة سوي هذا التفسير .. لقد حدث ماكان يلهث وراءة باحثا منذ سنوات عديدة إنه في بعض الأحيان يحدث ان تتجسد بعض الأرواح في جسد بعض الأشخاص المتوفين مسبقا أو حتي بين البشر الأحياء ومن الممكن جدا في هذه الحاله أن يكون هناك حوارا متبادلا بينهما !!! وفي غمرة دهشتة وبعد أن هاجت وماجت به الأفكار في عرض بحر حيرتة وأبت أن تلقي به علي شاطئ يريح عقلة الذي أنهكتة الدهشه والولع والرهبة مما يحدث معه !!! قرع في تلك الأثناء باب غرفة عيادتة قرعا شديدا وأخذ يدق كأنه ناقوس الخطر ..ثم فجأة أفاق الدكتور حسين وكانت صحوتة من نومة كأنما هي أستغاثه آتية من العالم الآخر ..إستيقظ الدكتور حسين علي صوت الباش تمرجي (عبدالقادر) وهو يصيح بصوت عال ..دكتور حسين ..دكتور حسين وبإبتسامة هادئة قائلا :
---لقد نمت نوما عميقا ولم أشأ أن أزعجك .. فبعد هذا اليوم الشاق من مقابلة المرضي وجدتك مستغرقا في قراءة البحث الذي بين يديك بعدها رحت في سبات عميق ...
فهب دكتور حسين من فورة واقفا وجري ناحية الباب وفتحة وهو يتلفت يمينا وشمالا كأنة يبحث عن شئ عزيز علي قلبة ضاع فجأة من بين يديه كالزئبق المتسرب .. فبدت علي وجهه نظرة شاحبة باهتة كأنة فوجئ بصاعقة هبطت علي رأسه .. ثم إتّجه مسرعا ناحية مكتبة وأنكفأ علية هو يلملم في أوراق بحثة الشهير وكأنة سيجد الإجابة عن أسألتة الحائرة التي دت بمطرقتها الحاده فوق رأسه بين ثنايا هذة الأوراق التي باتت أمام ناظرية كسرداب مجهول مابداخله وهو يسير بة دون ان يعلم متي ولا كيف ستكون النهايه؟؟؟!! وأطفأ ماتبقي من نار باهته في غليونه ..وفي تلك اللحظه تحديدا سقطت عينه علي ورقة صغيره كانت فوق

مكتبة لم ينتبة خلال الفترة الصيرة التي مضت علية لها مكتوب فوقها إسم المريضة (نورا علي حسن) وبسرعة إكتشف انها المريضه التي زارته منذ أسبوع. لكن أعجب مافي هذة الورقه إن هذه الفتاة هي نفسها التي كانت تتحار معه ويتحاور معها قبل ان تختفي من أمامه مسرعه وتترك المكان .. ولكن مالذي حدث .. إن صورتها لم تنعكس أيضا يومها في المرآة! شعر بالجنون يجتاح عقلة وقلبه معا .. أمعقول ان يحدث هذا ؟! معقول أن تكون ليست بشرا !؟ وحاول جاهدا أن يقنع نفسة أنة كان نائما وأن ذلك كله كان مجرد حلم ليس إلاّ .. وتساءل قلبه حائرا ..هل هي فتاه الحلم أم حلم الفتاه ؟.. وإزداد جدالة مع نفسة قائلا :

--لا لا لابد أنني كنت مرهقا فأصبت ببعض التخيلات أو ربما هي هلاوس .. هل ذلك خيالا أم حقيقة؟ ظل السؤال حائرا والإجابه معلّقه في إنتظار مصيرها المحتوم وإنتطار الحكم النهائي ! إجابة حبيسه بين قضبان الشك .. إجابه مكبّله مابين قوة المعتقد وسعة الخيال .. تعيش في منطقة وسطي بين الأرض السماء !وكأنما هي تتحين الفرصة تلوا الأخري لتسقط علي السطح لتنبت يقينا يانعا مخضرا كأنها قطرات من ماء .. هبط الكتر حسين بعد ذلك الموقف مباشرة من العماره التي بها عيادته وفجأة اصطدم به أحدهم وعلي غفلة وكأنة صاعقة هبطت من السماء فوق رأسة وبلهفه واضحة نظر لة الكتور حسين سألة في ترقب وشئ من التوتر قائلا :

---اليست تسكن هنا في العمارة المجاورة (نورا علي حسن)؟ ..

ولما سألة الرجل عن سبب سؤلة قال له وبنظرات مترقبة فاحصة :

---إنّها مريضة زارتني منذ اسبوع علمت أنها تسكن هنا في هذة المنطقة ...

وسريعا مابدا الحزن علي وجه الرجل وأطل بلونة الداكن من بين شفتية في كلمات تملؤها الشفقة والرثاء كما تطل سحابة سوداء كئيبه في ليلة ممطرة غابت فيها الشمس نهارا وإنطمس فيها ضوء النجم الفضي ليلا وأجاب بأسي قائلا :

---لقد ماتت منذ شهرين ويبدوا ان حادث وفاتها كان غامضا ..لأن التحقيقات اثبتت أن هناك شبهة جريمة قتل في وفاتها والي الآن لايزال التحقيق مستمرا في حادث وفاتها ..فعقدت الدهشة لسان الدكتور حسين وبهت ولم يجد مايقولة ولم يشعر حتي بوقع خطواتة المتثاقلة التي تضرب الأرض بقدم حائرة الخطوات .. كخطوات وليد لم يعتد بعد علي المشي في طريقة بدون أن ينبث ببنت شفه ..وكأن كلمات الأرض جميعها قد أطبقت علي فمة فأصبح كالسجين لايستطيع النطق بكلمة واحده .. لقد تأكد انة لم يكن نائما ..فما حدث معهة حدث مابين اليقظة والنوم ثم إستغرق بعدها في سباتعميق كأن مطرقة دقت رأسة بعنف .. ومضي سائراً في طريقه حتي إختفي وسط زحام الشارع فبدا كالسراااااب ...

الغياب

ولا اشتهي شيئا غير ان يصمت الوجع بداخلي ... وكأني سمكه تبحث عن نهر قد جف منذ زمن ...! هل تعرف معني هذا الشعور ؟ هل تعرف معني ان تعيش لئنك مضطّر لذلك ! وليس امامك خيار اوبديل سوي الموت .. بل حتي الموت لن يأتيك طائعا اذا اردته او تمنيته .. اتعرف انت ياسيدي وانت ياسيدتي معني ان يسألك احدهم عن احوالك فتقول له الحمد لله ..اعيش لأتنفس الهواء كل يوم وكل ساعه وكل دقيقه ولحظه ..هل تعرف معني ان تتمني في كل لحظه ان تمضي بك الأيّام وتمر الشهور والسنين لتبتلع معها تلك المراره التي تنهشك ولتختفي في دهاااليز الكون كله لتهرب من شئ ما او حزن ما او امر ما اثقل كاهلك وناء بحمله قلبك حتي اصابك بالإعياء ..اتعرف معني ان ترسم ابتسامة علي وجهك وانت تتجرع معها من كؤووس العذاب الكأس تلو الآخر .. وتمر سلحفاة اللحظاااات ببطئ شديد لتتراص احجارها الواحد تلو الآخر حتي تطبق علي انفاااسك وتحبسها داخل صدرك الذي ضاق فلم يعد يتسع لثقب ابره ولم يعد الكون كله يسعك هل تعرف معني ذلك كله ؟؟..انا اعرف ..اعرف ايضا انّي فقدت بريق الأشياء ,,اعرف ان هذا البريق غادرني بلا عوده ... اني اذكر تماما آخر مره التقيت فيها بهذا البريق وذاك الشغف لقد وعدني بالعوده مره اخري نعم اذكر انه وعدني بأنه لن بغيبب طويلا واه سيعووود كما اعتاد ان يعود لي عندما يغادرني ,, واانتظرته ..وطاال الاانتظاار ثم طاال ..في البدايه لم اصدق ..كذبت نفسي ..كذبت احساسي ..لابد انّ احساسي خدعني هذه المرّه .لا لا لا اصدق ... هل فعلا غاب البريق واختفي كل شئ حولي ...؟ هل انطفأت حياتي ؟ هل تحولت الي ظلام ؟ اري لكن لا اري ؟! اشعر لكن لا اشعر ؟ اين انت ايها البريق ؟ لماذا رحلت ؟ ربما اني اسأت اليك في يوم ما دون ان ادري ... اجب ..اجبني هل اسأت اليك ؟ لماذا خذلتني ورحلت ؟ لماذا قل لي ؟؟ لم اغضبك يوما ما .. ربما لئنّي اعتدت علي المراره في حياتي قبل رحيلك عني .. ربما لئنها اصبحت ترياقي الوحيد ..او ربما اكون قد استعذبت الالامي ومرارتي معا !! هل اغضبك هذا ايّها البريق ؟ امن اجل هذا رحلت للأبد ؟ امن اجل هذا غادرتني بلا عوده ؟ يال قسوتك!!! .. رجوتك كثيرا ان تعود لي مرّة اخري,, وتمنيت عودتك ..لكنك لم تجبني .. ربما انها اصبحت الحقيقه وعليّا تقبّلها ..رغم جموحها وقسوتها وعنادها وصلافتها .لكنها تبقي الحقيقه بكل معالمها ... تنذر احيانا وتدّمر احيانا اخري ... لكن حتّي لو اعتذرت الرياح فستبقي الغصون مكسوره ...لكني الان والان فقط, اتساءل هل يجب علي ان اتألّم حتّي النهايه ؟ لقد اعتدت الالامي ..وحتي لو زارتني السعاده او طرق بابي البريق يوما ما فلن اصدق! .. هل هي رغبة منّي في التّطهر من شيئ ما ؟ هل تطهرنا الآلام من الدّاخل ؟ وهل اشتري سعادتي التي توارت خلف الآفاق البعيده بآلآمي ؟ يبدوا لي أن الآلام تطهّر كل شئ ...لم يكن هناك بد من ذلك ..لافرااار منه ابدا لافرااار .. لن انسي ذلك اليوم ابدا ذاك اليوم الذي اختفي فيه من امامي كل شئ وذهب الي حيث لاعوده ...فتسربت من بين يدي كل احلامي وطفولتي وعذوبتي بل كل حياتي وسلبت مني ارادتي ...وكأنما هذه الارض الصلبه اصبحت قشه تغرق وسط محيط كبير يموج من تحت قدماي ويزأر كأسد جائع يريد التهامي, حينها صعدت صرختي كرعد لتشق عرض السماء بوميض من نار يحرق الوجوه

ويكوي القلوب ..اه ثم آه ..اشعر اني صفر اليدين ,خاااليه الوفاض من كل شئ ومن كل احساس او فكره او حتي رأي... اغرق وسط قااع من الفرااغ,, فرااغ هو ام خوااااء ؟ , لافرق عندي بين كليهما فكلاهما خالي الوفاض مثلي تماما.. انا نبض بلا عروق او عروق بلانبض ! وامتدت يداك في تلك اللحظة الي كتفي لتزلق اناملك بمهارة عازف وعذوبة فنان لتعزف علي اوتار احزاني لحنا رقيقا مرهفا قائلا: كل شئ سيعود كما كان بل افضل مما كان ...التفت اليك والدهشة تملؤ فاهي ودموعي تهطل من سماء عيني الملبدة بالاحزان المتراكمه وقلت لك كيف ذلك ومتي؟؟!... وهل يعود اي شئ او اي شخص غاااب ؟!... قد تولد الفكره ثم تختفي لتولد فكرة غيرها وقد يولد حلم ثم نصحو منه فنجده لاشئ سوي اضغااث احلام لكننا ننام ونحلم من جديد ثم يتحقق الحلم ..لكن ..... وقبل ا اكمل وضعت اصبعك علي شفتاي فأطبقت اقفالها علي كلماتي التي احتبست بداخلي وانا اتأملك وانت تقول لي : حتي لو كانت السماء حزينه وبالدمع الأسود تفيض وحتي لو شعرت بالبرد فسأدثّرك بكل الدثور لتتدفّئي بها ... فلا تقولي وداعا يافاتنتي سيكون بيننا دائما وابدا لقااء , وسنلتقي في كل الدروب حتي لو لم نكن معا !فلن نقول كلمة وداع واحده ...فكلانا كالطير مهما ضاع يوما ما سيعود... وحتي لو غاب الجسد ستبقي الروح .. ستبقي الفكره ..سيبقي الوجود ..الوجود نفسه موجود ... وكم من غائب موجود وكم من موجود غائب ومفقود! فأجبته وانا اتحسس يده بأصابعي وكأني اتفقدّها لأتأكّد من وجودها قائلة : وكم من مفروض غير موجود وموجود ليس هو المفروض ولاحتي المفترض... فلاحت لي ابتسامتك وكأنّها بريق ينير صحراء حياتي القاتمة وانت تقول لي بخشوع كرهبة المصلّي وسكينته في جوف ليل بهييم : سيدة عمري الفاضلة , هذا اليوم هو يوم هناء لقلبينا الذين عاشا معا طويلا ...حتي قبل ان اعرفك , ربما منذ الازل!...لقد كتب لكلينا ان لا ننفصل ابدا,,حتي لو انفصلت الأجساد عن الوجود وعن الحياه فنحن لن ننفصل ابدا... ثقي انك جميلتي وليس هناك جميلات غيرك في وجود عيني... لن استبدل وجودك ولو بالشمس ولن استبدل بريق عينيك ولا بأضواء العالم اجمعين. دعيني اغوص في اعماقك قبل ان ارحل ..وكوني علي ثقه اني مهما رحلت وبأي شكل وبأي طريقه ,,فلن ارحل ...لن ارحل ابدا من سماء حياتك ! ... احبك جدا .. حتي لو رحل جسدي من هذا العالم فأنا لن ارحل ابدا ..لن ارحل ابدا...وحينها نظرت اليك وانا اتملّي من عينيك ولاحت لك ابتسامة تغالب المرارة التي ترسم بفرشاتها لونها الباهت علي صفحة شفتاي قائلة : كلنا نسافر وكلنا نرحل او سنرحل يوما ما ..اعلم انه ليس بدآ من ذلك .. كل منا يسافر بشكل او بآخر او يرحل بطريقة او بأخري ..ترحل الافكار ..الاجساد .... الأحلام ... الأشخاص .. وترحل السعادة ... او الاحزان .. الأحاسيس والشعور ... كل شئ يمكن له ان يرحل ويتوارى قليلا او كثيرا ,, احيانا او للأبد ... ويبقي الرحيل ....

الجهاز معطّل(قصة قصيرة)

ترن أصداء الأجراس مثل صدى الصوت فتذهب هباءمنثورا، إنه صوت هذا المنبّه ترن أصداؤه المتتالية والمتكررة في أذني ... والصدى يستمر في العودة مع رياحه العاصفة وبحار العواصف التي تموج أسفل أذني ، وتلك الإيقاعات اللعينة ترتفع في أسفل أذني. أذني كأنماهي دقات طبل أجوف يعلن خبرنبأ غيرسار بكلصلافة غيرمبال بمن يتلقون هذا النبأ ... لتذكرني بالموعد .إنه موعد إتصالي بهذا المصلح اللعين .. وتنهال ضربات الحيرةبمطارقها فوق رأسي وأنا أتساءل :هل أهرع وأنهض مسرعة لإسكات هذا الصوت المزعج. أم أنصاع لتنفيذ الأوامر وأسعى جاهدة فيلب الحصول على هذا المصلح ؟.. كلا الأمرين ضبابي .. ؟؟؟؟ إنه تعيين هذا المصلح .... وموعدني بحيرتي وتعذيبي .. هل أطلب ذلك. هل اتصل به؟ أم أنني أتحمل عطل جهازي وأتركه هكذا معطلاً؟ ما الذي سيؤذيه إذا ترك عاطلاً؟ ربما يكون من الأفضل له؟ ربما عمله وحركته فيه عذابه وحيرته؟ أليس مرتاحًا هكذا؟ لكنه لا يبذل جهدا ... ربما يحتاج اجازة؟ ولكن ما هي المدة التي سيستغرقها ذلك الإجازة؟ هل هو فاصل ومتابعة؟ أم أنه راحته اللانهائية ..... أم أنه من الأفضل لي أن أتصل بهذا المصلح البليد غير الحساس ، وتظل الأسئلة تزحف وتتجول في ذهني كما لو كانت سرابًا بلا نهاية ... أسئلة بدون اجابات ... يا له من مصلّح ممل متبلد انه بارد مثل التمثال، اجوف كصنم أصم ... الجهاز بالكاد يعمل حتى يعطل مرة اخربويصيبه العطب ... انه مصلح فاشل .. فاشل .. حتى عندما يكون الجهاز بين يديه كثيرا ما يتضرر .. لكنهم يمدحونه كثيرا ويقولون ويقولون الكثير والكثير عنه .. لطالما سمعت حكايات عنه من أقاربي ومعارفي وحتى من جدتي عن مهاراته التي ورثها أب عن جدي. وأن أجداده كانوا لامعين وعليه أن يشرب من صناعته ويتعلم الألم ..

وانا ضحكت كثيرا .. ضحكت في فمي .. اتقان

!!! عن أي إتقان يتحدثون عنه ويملأون أفواههم ليل نهار بالحديث عن فنه وقدرته وأهمية تواجده في كل بيت لإصلاح ما أفسده الزمن ... !!!! كنت قد سمعتهم لفترة طويلة ، وكانت كلماتهم تنخر كالسوس في أذني وتتسلل إلى الداخل ، لكنني لم أستطع تصديقهم ، ، واندلعت موجة في بحر الشكوك في كلمات ، لذلك انقلب مدحهم رأسًا على عقب ..لم أكن لأصدق مديحهم لهذا المصلح يوما ما ..وأخذتني الشكوكبعيدا بعيدا والقت بي بحار الغموض والغضب ووغصت في اعماق ذاتي حتى القت بي موجةعلى شاطئ اللوم ,لدرجة انني لمت نفسي على عدم تصديقي لهم .

أو هكذا بدا الأمر وظهر لأذني ، ربما لأنني أردت سماعه

أيضا.مازلت اذكرذاك اليوم ذاته عندما اتيت الى منزلي لأول مرّة أيها المصلّح ثم دخلت ، واقتربت مني بهدوء وبدوري عرضت عليك جهازي على أمل إصلاحه ، وارتجفت يدي أثناء حمل الجهاز كما لو كان مسافرًا يحمل أثقاله لأنه كان يجتاز أطول مسافات. .. كانت المرة الأولى التي أحسست بها لتلك المسافة القصيرة الطويلة!! !! ما وقف بيني وبينك عندما اقتربت منك ويرتجف جسدي في يدي كأنه طفل صغير يبكي حتى لا يقدمه قربان للآلهه .. يبكي ويتوسل معي أرجو ألا أفعل. ... لم أكن أعرف أن هذه المسافة الطويلة والقصيرة كانت جيدة جدًا. !!! بدا لي وكأنها مسافة فاصلة مابين الأرض و الفضاء ... ومسافة الزرع من زمن مطر السماء !!! لأول مرة أشعر أن نصف متر أو أقل كان قريب جدًا من عيني هو بذاته أبعد من البعد عنّي!!!! ... غاصت فيّ أعماقي وغاصت بداخلي لتقدم لك الجهاز بينما تمد يديك بفارغ الصبر جائعًا للطعام والشوق الصامت للكلمات. أمسكت به وطرقت السعادة باب قلبي. سيعمل جهازي المكسور مرة أخرى ، وسأكون سعيدًا. ... الانتظار الرهيب وكم هو ثقيل من ينتظر .... ما هو عبء انتظار من ينتظر النور في نهاية النفق المظلم. وما يثقلها على كاهل منتظري الأخبار التي تزيل ظلام الحياة وظلامها ...! بل ما هو قبيح لمن ينتظر حبًا وهميًا ... وخنق شعوري بداخلي ، معلنًا عن حبس أنفاسه وتوسل إلي أن أطلق تلك الأنفاس ... ربما كنت من صنعت صندوق الانتظار و كنت أنا من حبست نفسي بداخلها والساعات ما زالت بطيئة بدقائقها وثوانيها ... وأنتظرك وأنا أفكر فيك في البداية ، كان الشغف يتسابق إلى قلبي ويطرق على باب يلهث ، ثم تلاشى صوت قرعها ببطء حتى أصابني بصعوبة .. وتلاشت ملامحها كصورة قديمة يأكل فيها الزمن ويشرب .. نخبًا للنصر .. انتصار ساعات الملل وعدد مرات التثاؤب. احبوا بلهفة ورغبة .. .. حتى يخلد كل شيء للنوم .. نوم أبدي .. لا يستيقظ فيه .. كل هذا وذاك وأنا أراك تتلاعب بي.

إنها مشاعري ومشاعري .. إنها ليست لعبة بين يديك .. لقد دمرتها كثيرًا في الماضي ... والآن حان وقت الرحيل ... جهازي ملك لي وحدي. .. ومشاعري تخصني .. قد يفسدها غبائك وعنادك .. لذا اعذرني مصلح .. وآسف يا رجل .. لقد اتخذت قراري .. لن أسلم لك جهازي لتعبث به. معها مرة أخرى ... لن تأتي هذه المرة .. لن أسمح لك بالدخول إلى الداخل مرة أخرى .. لم يعد بإمكاني سوى الاختيار والتمييز بين تعازي وجهازي المكسور ، وبين حريتي وحريتي. سوف ... والآن اخترت طريقي وسأسير فيه بعيدًا عنك ... لم يعد الجهاز يتحمل المزيد من الضرر بفضلك .. تقول انتظر حتى آتي .. فكيف تقول انا انتظرك .. وأنا لم أعد أعلم أن خطواتك قد اتخذت. منذ أن تركتك بغض النظر عما يهمني ... لديّ خاصتي إذا خنت أو ماتت ... فقط خيبة الأمل وحدها علمتني الاستغناء عنك ... أصبحت خائفًا للغاية أتوقع تأثير خطواته القادمة نحو أنا. .أنت من علمتني ذلك. .أنا خلقك. .وأنا نتاج خبراتك .. حتى علمتني خيبة الأمل الاستغناء عنك. شكرا لك يا أشواك لأنك علمتني .. أنت مدرس لامع. لقد نسيت أن أجعلك تشاهد. ... أنا فقط أصبحت أرفض إخبارك ... ومشغول جدًا لتذكيرك ... ما مدى صعوبة الأمر على شخص يعرف الحقيقة وحده ... لم يصدقوني .. لقد أوقفوا كلهم كانوا ضد لي في معركة .. أقاموا لي محكمة .. فيها كنت الخصم والحكم.! .. لا تظن أن هذا جاء بسهولة

.. لقد جاء بعد ألف قتال في ذهني وألف كسر في جهازي ، ودمرتها يداك حتى أصبح الإحساس والشعور متعبين ومرهقين. دماؤهم سالت في معركة ضد النسيان ... متناسين ما أفسدتك ودمرتك ... وكنت أقول ذلك أيضًا ... بدلاً من لومك ، يلومونني ... أنا مخطئ دائمًا. أنا من أسيء استخدام الجهاز ... أنا من يستعجل الأمور ... أنا وأنا ... أنا دائما أنا ... أنت لا تلومك .. أنت المصلح الماهر ، تنتقل من جيل الى جيل .. كيف ترتكب الاخطاء .. بل فى نظرهم انت صادق فى ذلك .. وانا من يتحمل كل العواقب وكل الخسائر .. انت لا شيء عليك ... لكنك قدمت لي معروفًا بقدومك ... وزيادة حظك وتضخيمك ، من فضلك أكثر عندما تأتي مرارًا وتكرارًا لإصلاح ما أفسدته بيدك ... وجني ما جنيته .. لكن في نظرهم أنت مقاتل كنت أتجرأ .. وكنت صبورًا. وابتلعت من كؤوس الصبر كوبًا تلو الآخر حتى أحرقت مرارة الصبر جدران أحشائي وأشعلت النار معهم حتى حولتهم إلى حريق وحطام ... ويكفيني يا رب الحرائق التي خنت بها حرصك على إطفاء جمر الدقائق ... وكان علي أن أخرج من ذلك الإطار الذي حبست فيه نفسي ... ثم اندهشت لرؤية الخارج ودهشت أكثر عندما لقد فاتني ذلك بينما كنت جالسًا أمامك في انتظار ما ستستمتع به وما ستجلبه عبقريتك الفريدة ... في إصلاح الجهاز! .. كم يوما وشهرا وسنين ضيعت من عمري وأنا أنتظر ... بلا فائدة .. كم أنا آسف على الوقت الذي مضى وضاعته في حفرة صبري معك .. عليه هي الحياة السخية بالإرادة .. أما صندوق الانتظار أو طريق النور .. فقد اخترت النور بعيدًا عن ظلامك الكامل .. الذي يضر بجهازي بدلًا من إصلاحه .. إنه مشاعري و مشاعري. .. إنها ليست لعبة بيديك .. لقد أضرت بها كثيرًا في الماضي ... والآن حان وقت الرحيل ... جهازي ملك لي وحدي ... وشعوري ينتمي بالنسبة لي ... قد يفسدها غبائك وعنادك ... لذا عفوا أيها المصلح ... وآسف يا رجل ... لقد اتخذت قراري ... لن أسلمك جهازي لك التلاعب به مرة أخرى ... لن تأتي هذه المرة .. لن أسمح لك بالدخول إلى الداخل مرة أخرى .. لم يعد بإمكاني الاختيار والاختيار بين تعاستي وجهازي المكسور وبين حريتي وإرادتي ... والآن اخترت طريقي وسأبتعد عنك ... لم يعد الجهاز قادرًا على تحمل المزيد من الضرر بفضلك. تقول انتظر حتى آتي ... فكيف تخبرني أن أنتظرك؟ ... ولم أعد أعرف أن خطواتك قد اتخذت. منذ أن تركتك الأمر لم يعد يعنيني ... رجل عندي إذا خنت أو ماتت ... فقط الخمول وحده علمني أن أستغني عنك ... لقد أصبحت من خوفي المفرط من التنبؤ بخطواته. قادم نحوي. .أنت من علمتني أن .. صنعتك. . وأنار بالنجاح على عتبة يديه التي دمرت أجهزتك المكسورة وهو بين فكيه الذي حطم الأحلام أمام العظام ... وها أنا أغلق بابي في وجهك أيها المصلح ... لن يدخل سيدي مرة أخرى ، أنا تعلمت الدرس وأنا من أصلح جهازي بنفسي وبإرادتي الحرة .... وأغلقت الباب خلفي بينما اشتعلت أنفاسي بعد التحدث إليك .. ووقفت خلف الباب المغلق وأنا أتأمل المكان بعد رحيلك بأنفاس متقطعةلاهثةبعدد الدقائق والساعات التي قضيتها بقربك وكأنما هي سلحفاة بطيئة من الزمن المر بطعم الصبارو العلقم ,. ها انا وقد علمت ان الوحدة وطن للروح المتعبة والمعذبة ... وقد يظن البعض أن الوحدة هي الابتعاد عن الناس ... بل الوحدة هي أن تكون وحيدا وأنت محاطًا بالناس أو بالشخص الخطأ ... أعتذر منك .أنا لم ولن أعد أنا ..فقد غيرني الألم ، بل خدرني ... حتى أصبحت أقل ثقة ... أعتقد أكثر ... وأنعزل لفترة أطول وبقدر ما أستطيع.

آلام رفيعة

الحق أنّي مازلت اسأل نفسي ويلح عليّ السؤال ذاته بل ويكرر نفسه في داخلي وبإلحاح سائل يطلب الاحسان لأمس الحاجات !ثم تجتاح نفسي سيول من الحيره والتساؤلات وبلهفة وتعطش وانا اتساءل : ايّهما أفضل ؟ سعادة مبتذله ام حزن نبيل مترفع عن كل متعة ولذّة؟وعن كل رخص او دناءه حتي لو كانا هما السبيل الوحيد لسعادة او لنشوة ؟ لكنّي اعلم يقينا انها تبقي لذة زاائفه , ومتعة مؤقته زاائله ,,تبقي في الحضيض دائما ,لأنها بهيضة الثمن ولاينبغي ان نخسر من أجلها أكثر مما تستحق ..انها زهيبيده الثمن مهما دفع فيها ومهما بذل جهد من اجلها ...

انها دائما تذهب ادراج الرياح ..وتختفي كالسراب ... انها قبض الريح في كل اتّجاه وعلي اي او كل حال ...لكن هناك وعلي الجانب الآخر من شاطئ الحياه اراك ايها الحزن النبيل شامخ صامد حتي وانت وحدك ..وبشجاعة مقاتل وبجسارة مناضل تقف صامدا بوجه هذا الرخص وتلك السعادة المخادعه ...تتساقط منك الدموع بعطاء يبذل ...عطاء بستحق الكثير من الجهد والأكثر من التضحيات ..دموع نقيه كبياض الثلج ..شفافة كحبات المطر ...ايها الحزن النبيل أنك انقي من ان تلوثك يد الخطيئه او يعكر صفاؤك اثم او ذنب .... ان الألم امر حتمي ...

لكن المعاناه اختياريه ...هناك من يلجأ اليها ويركن لها ظنا منه انّه بذلك يكسب تعاطف الجميع واهتمامهم..وهناك في المقابل من يستمتع بآلامه ...وبل ويسعد بها !!!! وعن طيب خاااطر ..لسبب بسيط وصعب في الوقت ذاته! ..انه السهل الممتنع ! انه من يريد تطهير نفسه من الداخل ..انه يريد ان يشتري سعادته المقبله بأغلي مايمكن ..ان سعادته مؤجله ..لكنها اكبر من ان توصف بوصف ,,,ولابد ان يبذل الكثيير للحصول عليها ..انها انقي من تشوّه او تعكّر بأي ذنب او حتّي شبهة من اثم ... انها انقي من القطن في بياضها واطهر من وليد في براءتها ..

لكن طريقها مفروش بالأشواك التي تدمي القدمين ..لكنها في النهايه سعاده حقيقيه ,تعرف كيف تضمد الجراح وتشفي جميع العلل والأمراض ..حتي لكأن شئ لم يكن !!! لم تكن (فريده) في الإسم فقط بل كانت كذلك علي كل حال من احوالها ...انها لم تنسي يوما ما ان تمد يد العون حتي لمن ظلومها او خانوها !.. كانت تسعي لإرضاء كل من تعرفه تخاف ان تجرحه بكلمة او تخدشه بلفته اوبنظره ؟وبالرغم من ان منهم من طعنوها بخنجر في الظهر الا انها لم تكف عن مد يد العون لكل من احتاجها .. وكثيرا ماكانت تتوعد وتهدد بالإنتقام بعد جولة مع المعاناة والآلام لكنها في النهايه كانت تستسلم لأول استعطاف او رجاء او طلب عون او مساعده ..

لم تكن لتنسي الآمها بسهوله ولم تهدأ او تفتأ روحها الملتاعه عن ان تعذّبها كلما تذكّرت الم او معاناة سبّبها لها احدهم ..لكنّها دائما ماكانت تبتسم في وجوههم لكن قلبها كان يبكي .... كانت تستطيع ان تقنع كل من حولها انها بخير سوي شخص واحد فقط ,,انها هي نفسها لم تكن لتقنع بذلك ابدا !!!! يقال ان الحزن الكبيير احيانا لادموع له فقط يكتفي بجعل صاحبه صاامتا وهذا

كان هو حالها ..فبماذا تنفعها الكلمات ..في اغلب الأحيان كانت لاترغب في شئ علي الإطلاق ,,,,كانت تنتظر ان ينتهي يومها في صمت ...ربما تكون قد تعوّدت علي الآلام التي تسكن بداخلها اوالتي مرت بها او ربّما لأّنه لم يعد هناك مكان لآلام جديده ,,

وكما تعودت دائما ان تمسح دموع والآلام المرضي في المشفي الذي تعمل ممرضة فيه ...تعودت كذلك ان تداوي جراحها و تضمّد معاناتها بنفسها ولنفسها ...! وبرغم انها كات تعيش مع اخيها الأكبر منها والوحيد بعد وفاة ابويهما الا انها كثيرا ماكانت تغرق سابحة في دموعها وهي تتذكر كثيرا من الأهل او الاقارب واللذين كم تمنت ان تحتضنهم وتمطرهم بوابل من قبلاتها واشواقها ..كم تمنت ان تري اناسا لم يخبروها بموعد رحيلهم ! ليتها كانت تعلم وليتهم كانوا يعلمون.. لكان الم الفراق ووجعه اقل بكثير او ربما كذلك... انّ من اكثر الأشياء ايلاما ...

التعلق ثم التعلق ...ثم التعلق ,ثم الفراق... في كثير من اليالي كان يتفجر بها ينبوع من الدموع العذبه التي تغرق صحراء وسادتها ليلا فتفجر بها مروجا خضراء من الصبر او التصبر الذي كان يحتوي قلبها فيفتح صمام امان من البكاء فتخرج كل الضغوط بداخلها في سلام وهدووووووء... قد يتساءل البعض لماذا ؟ لقد احبته (فريده) بقوه بل بكل اخلاص بل بكل ولاء ..لم تشأ يوما ما ان تتبع تلك الأساليب التي عادة ماتتبعها الفتيات او السيدات والتي تضج بالحيل والمكر والخداع الأنثوي المليئ بعطر الخديعه وعبق الخطيئه الواهم ... كان طبيبا يعمل في المشفي ذاته, وكانت تراه امامها كل يوم ....احبها كما احبته وعشقها كما عشقته ..

تبادلا سويا النظرات والإبتسامات وحتي الضحكات ..لم يشأ يوما ما ان يلمس حتي خصلة من شعرها الكستنائي الجميل ! كان يكتفي بالنظر اليه وكأنما هي نجمه في السماء يسعي للإقتراب منها لكنه يخشي ذلك ..او لكأنّما هي شمس ساطعه شعاعها دافئ جميل ,, يملؤ قلبه لكنه لايستطيع الاقتراب منها خشيه ان يحترق بنورها ... لكن نظرةواحده منه او لمسه حانيه في سلام عابر لايكتمل اكثر من ثانيه واحده او اقل كان اكبر بل اكثر من كل شئ يمكن ان يحدث بين رجل وامرأه ..فعندما تهمس الروح للروح فالكل يصمت وجميع الأعضاء تنصت في خشووووع وسكينه ولهفة مستكينه ....

واخيرا وجدته ,,واخيرا عرفته انه نصفها الآخر انّه من يكملها ويكمل كل ما ينقصها ..انها تري نفسها في مرآته صباح مساء...وتواعدا علي الزواج واقترب موعد عقد القران ..وتأخر الحبيبيب لم يأتي في موعده ومرت الساعات تلوا الساعات بطيئه ثقيله تحملها سلحفاة الزمن وتمر علي جسر طوييل من الإنتظار القلق المريب ..نهرها اخوها بشده وقال انه مخادع ..لكنها لم تصدق لم تجرؤ حتّي ان تتخيل هذا الإفتراض .. ثم كانت المفاجأه ..لقد اصيب في حادث سياره بشع كاد ان يفقد حياته علي إثره , لكن الأقدار شاءت ولم يمت.. في البدايه تنفست الصعداء وحمدت ربها في لهفه منقطعة النظير ..لكن مهلا,, لم تشأ الأقدار لهذه الفرحة ان تكتمل ...لقد اصيب بالشلل المزمن ولاعلاج له ..

لن يتحرك بعد اليوم علي قدميه والأكثر من هذا ان هذا الشلل اثّر بشكل او بآخر علي فرصة الإنجاب لديه انه لن يستطيع سيبلا لها بعد اليوم ,,, يالها من مفارقة قدريه عجيبه ! افي اليوم الذي تجده فيه او كات علي وشك ذلك هو نفسه اليوم الذي ابعده عنها واخذه منها ..استقال من

مهنته فلم يعد يصلح للمهنه او تصلح له ... اقنعته فريده كثيرا بالعدول عن قرار الامتناع عن زواجهما فهي لايهمها الإنجاب ولاتهمها كل التفاصيل التي من المفترض ان تحدث بين بين رجل وامرأته ..انها لن تكون محرومه او تعيسه كما ادعي اخاها الذي طالما انّبها ووبخّها لرفضها الزواج .... لكن الحبيب رفض ان يحطم حياتها بيديه ..

وكيف يدمر من احبها؟ . كيف يراها وهي تنهار كالبنيان الصامد امامه يوما بعد يوم وهو صامت ينظر اليها باكيا في حزن؟ .. دون ان يمد لها يد العون ..وكيف السبيل لذلك واليد قصييره قصييره جدا لتطال النجوم في السماء هكذا كان يراها ... كيف يقضي علي آمالها واحلامها وانوثتها بنفسه .؟ كيف يقتل متعتها ورغبتها ويدفنهما تحت قدميه ..وهي صامته مستسلمه له في ادب جم ..وحنان نبيل ... وحزن دفيين ..وشفقة باكيه تمزقه اربا كلما نظرت اليه ؟!! لا لن يكون ذلك ابدا ..لن يكون ...لن يكووون ... ان كلاهما سيقتل في نفس اللحظه وفي كل لحظه وكل يوم ... اصر في عناد وكبرياء مذبوح وحب مجروح علي الفراق ...

ولم يتراجع عن قراره في وسط عاصفة من الدموع الصامته القاتله التي اغرقت كليهما في بحرها السرمدي اللاّنهائ ...لكنها لم ولن تنساه يوما ما ..كانت تعلم مايدور في خلجات قلبه وما يعتمل في نفسه وصدره من الآلام يقاومها وهي تذبحه.. لكنه صامد مستسلما لامباليا بما تفعله به تلك المعاناه او ذاك الحزن .. لقد اخذ قراره وكفاااا....واحد من اعظم الآلام هو ان تحب شخصا لايمكن ان يكون لك.... رفضت كل النصائح المهداة اليها او التي كان يظن قائلييها ذلك ...! لم تستمع لهم بل لم تسمعهم من الأصل ..لم تكن تري سوي عينيه الغارقتين في بحر من الدموع ... التي تجرفها بتيار عنيد دائما الي شاطئه الحزيين الهادئ المليئ بعطر التضحيه واريج الحب والحنان ..فكيف تكون لغيره حتي لو لم تكن له ؟!!!

انها الآن لاتستطيع ان تكون له لكنها لن تكون لسواه! ... لن تكون ..وهل يمكن ان تكون لآخر وقلبها لايزال معه هو من احبته ... انها الخيانه بأم عينها ..وتساءلت هل يمكن ان اكون جسدا بلا روح .؟ وتساءلت هل يجب ان اكون كذلك .؟ وهل الخيانة جسدا فقط ؟ ابدا ابدا ..ان الخيانه الحقه بل والكبري بالروح وبالقلب انها اعظم من خيانة الجسد واعتي منه بل اشد ظلمة وسوادا ... وسرعان ما اتتها الإجابات وانهالت عليها بسرعه الضوء وبكل بلادة وصلافه بل بكل هدوء ولامباله ..ومن كل الزملاء والاقارب وحتي الأعداء ..طبعا ..بل انه من الطبيعي ان ترتبطي بآخر وتتزوجيه ..ولاضير ابدا ل ولا حرج في ان تبقي لديك بعض المشاعر او العاطفه لشخص آخر ! وما العجب في ذلك ؟! وهل نحن ملائكه او قدسيين ..

نحن لسنا انبياء او رسل ..اننا بشر وهذا عادي جدا .. !!!!! كل شئ سيمحوه الزمن فهو كفيل بتضميد كل الجراح ... بهتت وامتقع وجهها وهي تتذكر كلماتهم بل لكماتهم التي صفعت وجه حبها بلطمة قويه ...هههه ...ما اكثركم ايها الخائنون وايتّها الخائنات !!!!!! انتم تستبيحون الخيانه لأنفسكم وبدم بارد تقولون وتقلن انها ليست حقيقيّه ولاهي جسديه ..انماهي مجرد احساس وعواطف عاديه !!! ما اعجب تبريراتكم وما اغرب تحايلكم علي انفسكم .. بل ما احقر وارخص خداعكم ... اني اثق تمام الثقه انّه لو تسنّي لهذه الأنفس المريضه المثقله بكم وبكذبكم وزيفكم والمهمومه برخص مشاعركم ,لبصقت في وجوهكم جميعا حتي تزيح عن كاهلها مرضها الذي انتم داؤه ولن تكونوا في يوم ما دواؤه....!

وهل اعيش مع من لا اراه وهو امامي ؟ وهل يمكن ان اكون لشخص لا اسمع صوته وهو يحادثني ؟ هل اتمدّد في فراش كل ليله لأكون وساده ترقد تحت كومة من الشوك تخدش وتقطع اوصال روحي قبل جسدي في كل لحظه او كل يوم ؟ ان ذلك منطقي جدا بالنسبة لكم !... انّه لمن الطبيعي في حساباتكم ان لا اربط مصيري بشخص كسيح او عقيم ..لكن حساباتكم لدي هي حسابات عقيمه عاااقر لاتلد إلاّ صفرا في جهة اليسار دائما ..دائما اصفارا كثييره ..لاشئ .. مافائدة شخص يحي جسدي للحظاااات او دقائق او حتي ساعات هذا ان احيااااه ..ثم يمت قلبي بالسكته وللأبد ويصبح قلبي هو الكسيح وهو العاجز المشلول .!!!

ماقيمته هذا الزوج الذي تريدونه لي وتتمنونه لي بجانب من يحيي قلبي ويعيد له حياته في كل دقيقة اراه فيها ..ان هذا الكسيح الذي ترفضونه وهاتان القدمان الساكنتان الجامدتان لقادرتان ان تزلزل كياني وتعيد الي الحياه والسعاده بنظرة او بلمسه او همسه ..ان لحظات بين احضان هذا الكسيح تسافر بي الي ابعد ماتصله مخيّلتكم العاجزه التي هي بالفعل كسيحه ... يالكم من اغبياء بلهاء ..ليس هناك شئ في الحياه اكثر ايلاما ان تتلقّي صفعه دون اي سبب يذكر !...لكني سأكمل مسيره حياتي كما انا ..سأمسح دموع وأحزان الآخرين لعلّ دموعي تزول بزوال الآمهم .. ولعل نحيبي الصامت يتحوّل لبسمة تخفّف ولو قليلا من اعبائهم ...سأدفن نفسي بين احزانهم واضمد بيدي كل ما استطعت من جراحهم ..وعاشت (فريده) بين المرضي والمتألّمين ...والجرحي والمتأوّهين ....

تبتسم حيث تريد ان تبكي ..وتزرع الأمل حيث يمزّقها اليأس ..كم من المرضي شفي وتعافي شاكرا وممتنّنا لها ..شاكرا تلك الإبتسامه واليد الحانيه التي غرست في قلبه السعاده قبل ان تغرس في جسده ابره للشفاء او شراب هو الدّواء ... قمّة الصبر ان تسكت وفي قلبك جرح يتكلم وان تبتسم وفي عينيك الف دمعه ... انها من كان يفعل ذلك وبكل اعتزاز !مؤلم جدا ان تضحك وتبش وتهش وتبتسم للآخرين في الوقت الذي تشعر فيه برغبة عارمه في بكاء جارف ! حتّي هذا العجوز لم تنسه ابدا ..واحضرته للعيش في المنزل بالرغم من اعتراض اخيها وزوجته .. اللذان طالما تأفّفا منه ...لقدكان هذا العجوز مسكينا ليس له احد ولا من يعوله .. لم يقدر علي دفع مال لدار العجزة والمسنين ...

كان مصيره الشارع او الموت المحتم من الجوع والفقر ..اطعمته من طعامها ومن شرابها ... جلست بين يديه ليل نهار لقد كان مريضا بنفس مرض حبيبها كسيح يجره كرسي متحرّك .. كان يسحبه بيده كلما تحرك خطوة او خطوتين وكأنما يحرّك معه حزنه وفقره وشجنه ووحدته ..لكنها لم تتركه يوما ما حتّي رحل في صمت والإبتسامه لم تغادر شفتيه وكأنما ابتسامته تدين لها بالعرفان ..فهي من رسمتها بيديها وودع بها تلك الحياة القاسيه هي من لوّنتها بريشه من السعاده والأمل والحنان! كانت تعلم انه لن يعيش طويلا فأرادت له ان يرحل وعلي وجهه ابتسامه يودّع بها تلك الحياه القاسيه التي لم يري منها سوي البؤس والشقاء ...

هي من اراد له ان يذوق طعم الراحه ويرتشف من ينبوع الأمان ولو لمرّه واحده او لفتره وجيزه قبل رحيله ... وهل من المعقول او من المقبول ان يغادر تلك الحياه دون ان يناله منها سوي صفعاتها ولكماتها ... الا يمكن له ان ينال منها ولو قطرة من حنان او لمسه من امان او لحظاات قليلة من السعاده! الا يمكن ان ترسم هذه الحياه ولو بسمة واحده علي شفيته التي اطبق

الحزن عليهما للأبد ..لكن (فريده) هي من منحته تلك الفرصه ..هي من ابدلت صحراءه الجرداء الي بستان اخضر يانع ... انه لأمر عجيب حقا ...عجيب ان تخرج الإبتسامات والضحكات من وسط الدموع!!! ..

عجيب ان يمنحك الحياه من يصارع الموت البطيئ !!!!عجيييب ان يطّل شعاع الأمل وضوءه من بين ظلام اليأس وعتمته ! عجيب ان يمد لك يد العون من هو في امس الحاجه له !!!! انها الحياه تولد من رحم الموت !!!! لكنّها (فريده) الفريده ..انها من فعلت كل ذلك واكثر من ذلك !!! والآن تغلق تلك العجوز مذكراتها ,, وكأنّها تخبّئ ما بقي لها من احلام وآمال في خزانة الزمااان وتبعد عنها يد النسيان !! وتنحّي قلمها جانبا ...فالقلم ربما تعب وارهقته المعاناة !!! ربمّا استوقفته حدّة الألم او ربّماانهكته مرارة الأيّام ..لكنّ نبل العطاء وسخاؤه كان دائما مايملؤه بالمداااد اذا ماوشك او قارب مداده علي النفاذ ! مداااااد لا ينفذ !!! طالما انت باقيه ومستمرّه ايّتها الحياه...فأنت ايتّها الحياه مسرحيه لم يسدل الستار عليها بعد لكنّك مسرحيّه مستمره وسواء اعجبتنا ام لم تعجبنا .....فقد دفعنا ثمن التذكرة .

بلا عنوان

كم حاولت مرارا وتكرار لكن دونما جدوي .. لدرجة أنني إتهمت نفسي بالجنون او العتة !؟.. إذ هل من المعقول ان يتعلق انسان كل هذا التعلق بمجرد (حمّام قديم)!!!!!!!!! اعلم إن المفاجأة صادمة ! لكنها الحقيقة بكاملها .. إنني لم استطع ان انسي يوما ما ذلك (الحمام القديم) الذي كان في بيت جدتي منذ اكثر من خمسة وعشرون عاما !!! لقد كان بيتا قديما وكان يبدوا للناظر من بعيد متهالكا .. لكنيّ كنت اشعر دائما ان روحي رابضة في هذا المكان! وكأنة عالم آخر داخل العالم الخارجي..ولم أكن أجد نفسي إلا عندما كنت أزور جدتي في بيتها القديم ,, كنت اتجول في ارجاء البيت وأري كل ركن فية كأنما هو قطعة أثرية حفرت يد التاريخ علي جسدها وسطرت احداثا وحكايات وقصصا لأزمان غابرة فيها كل حكايات الحب والحرب ..هكذا كنت أحس وأشعر!كنت أري البيت قويا شامخا كأنة يتحدّي الزمن !,, وكانت تلك الجدران العريضة تقتنص قلبي بمخالبها الحادة رهبة ممزوجة بولع وتشبث بالمكان!؟

شعور غريب!!! لطالما زاد من تعلقي بالمكان ..وكنت دائما اطلب من أمي ان تتركني أبيت ليلتين أو ثلاثة عند جدتي وأقضي ليلي أستمع بلهفة العطشان الذي اضناة العطش الي قصصها العذبة الساحرة اللتي كانت تأخذني لعوالم أخري اغوص بداخلها فأخرج باللآلي والكنوز,,وفي أغلب اليالي التي كنت أقضيها في بيت جدتي كنت أقضي ليلي أتجول في الغرف الكبيرة الواسعة واللتي كانت تلتف داخل البيت وتحطية كالسوار حول معصم الفتاة.. وكنت دائما ما أتأمل المقاعد الخشبية في كل غرفة والتي كانت مكسوة بقماش ذو نقوش زاهية الألوان مزركشة كجناحي فراشة مرحة تزهو بألوانها فخرا ..وكانت جدتي تقص وتحيك تلك الكسوة بيدها حفاظا علي الأرائك المتراصة من التلف ..لكن شيئا واحدا فقط كان دائما يخطف تفكيري ويتلقفة ليطير بة بعيدا عن المكان كلة ؟ .. فيسدد بكرتة كل الأهداف في مرماة هو فقط ! وانا دائما ماأقف موقف المتفرج المنبهر .. المذهول .. المبهور أو المبهوت !!! مما يحسة و يراة ؟.. هناااااااك في آخر الردهة الطويلة كان يقبع (الحمام) كان حمّاما قديما ..وكان يقع علي الجانب الأيمن بطول الممر ..وكنت أسير في هذا الممر الطويل كانني مسافرة داخلة ..وكأنما هو سرداب او خندق حفرة أحد جنود الحرب القدماء ..وأظل أسير في هذا الممر حتي ينتابني شعورا مختلطا مابين الرهبة والرغبة ! رهبة من الغموض الذي يلف هذا الحمام في عبائتة الرمادية التي تنثر رمادها المحترق حول جسدة المهترئ والمتين في ذات الوقت .. ورغبة في إستكشاف مايجول ويصول بخاطري من أفكارمبهمة تصهل بشدة في أعماقي إيزاء هذا الغموض الذي يكتنف ذاك الحمام والذي كنت أشعر بة عندما أقف علي بابة ثم يزداد بشدة كلما أقتربت من داخلة ,, فتطير أفكاري لتسابق الريح في محاولة يائسة لفك شفرة اللغز الذي يتجسد بوضوح أمامي كلما أقتربت من هذا الحمام !!؟ وأخيرا أجد نفسي وجها لوجة أمام بابة الأسود الخشبي الضخم ,, وكأنما هو احدي بوابات العبور لجهة أخري من العالم ! أو لحقبة تاريخية لم ولن تسطر في كتب التاريخ ؟ عالم آخر .عالم من نوع خاص .. ولطالما أصابتني الدهشة وأنا أتأمل جدرانة المصبوغة بسواد ليل بهيم ,,كل قطعة داخلة كان يلفها السواد الحالك الذي يظهر من بين ثناياة ضوء خافت مرتعش كبزوغ أول الفجر وسط عاصفة السواد الهوجاء .. كان ينير الحمام ليكسر حدة هذا السواد الفاحم ,,كانت تصيبني رجفة قوية كالصرخة المكتومة في أعماق متغيث هرب منة الصوت رهبة وخوفا !كنت أفزع لة كثيرا ويكاد الخوف يقتلع أحشائي بعاصفتة المتوحشة وأنا أتأمل جدرانة المتفحمة وبخاصة سقفة البعيييد العالي أكثر من اللاّزم ,, والمغطّي بعروق خشبيّة طويلة ,لم أكن أكاد أحتمل مايعتمل في صدري حينها من المشاعر التي تضج بداخلي في شبة أمواج متلاطمة لتقذف بي بعيدا علي شاطئ السحر والخيال وعالم الأساطير ! فيضيئ بدخلي وميض عجيب يقتحمني بدون إستئذان ليفتح أبوابا من التساؤلات اللتي لاتنتهي ولاتقف عند حد ؟ .. فيرافقني ذاك الشعور السرمدي الذي يمتزج فية التعلق بالمكان والولع بة والخوف منة والفزع في ذات الوقت !!!

حينها تتجسد أمامي صورا كأنها أشباح من الماضي أتت لتنبأني بأسرار حدثت من قبل لم يعرفها أحد علي وجة الأرض .. وأسرارا أخري ستحدث ,,لم ولن تخطر لأحد علي باال,, وأتذكر علي الفور كلمات جدتي التي كانت تصبّها في أذني عندما كنت أسألها فكانت كلماتها كالنغم العذب ,,الذي طالما طربت لة اذني ..عندما قالت لي جدتي عندما سألتها واللهفة تقطر من فمي كما يقطر لعاب الجائع ويسيل داخل فمة ..

---أحكي لي ياجدتي,, أرجوكي أجيبني ..

فمدت يدها بحنان مفرط الي رأسي وأخذت تمسح بيدها علي شعري فكانت يدها كوسادة من ريش نعام توسدت رأسي بعذوبة ولمع في عينها بريق خاطف وبنبرة المتنبّئ الذي أدرك ماهو لابد ميجيب عنة قائلة :

--عن ماذا أجيبك ياصغيرتي ؟ أري شلالات من اللللهفة تتتساقط من عينيك .. إن لم يخب ظني .. أنتي تريدين ان تعرفي سر (حمام بيت جدتك) اليس كذلك ؟

فنظرت اليها وانا فاغرة فاهي وقد عقدت الدهشة لساني وأطبقت علية كقفل علاة الصدأ رافضا أن يفتح أو يستسلم لفك حصار الباب ..وقلت .

---أكنت تعلمين بما يشغل بالي منذ فترة ؟..

فإبتسمت قد علت شفتها رجفة خفيفة قائلة :

---ربّ حال أفصح من لسان .. لسان حالك يابنتي أفصح عنك وقال ماترددتي كثيرا في قولة .. لقد كانت جدتي تراني دائما أنا أقف متأملة علي باب الحمام أو بداخلة ..وأنا اللتي كنت أظن أني أختلس اللحظات التي أنظر بها لهذا البناء الغامض كلص ماهر .. وقصت لي جدتي السر الغامض اللذي طالما تشدق بة الكثيرون وكان يسمرن ليلا في ليالي الصيف تحت ضوء القمر يحكون عن البئر القديمة التي حدثت عندها قصّة غامضة في الأزمان البعيدة والسنون الغابرة ..قصة لايعرف تفاصيلها أحد ..لكن يقال أن جنية عشقت شابا جميلا كان يأتي للبئر كل ليلة ويطل ليري وجهه الجميل فوق صفحة المياة فأخذتة لعالمها الغامض الساحر وعاشت معة عمرا بأكملة في قصة هوي وعشق لم يذقة بشر قط ..تعجز كل كلمات الشعراء وقصص الأدباءعن وصفة !..حتي ليقال أن أهلة بحثوا عنة طويلا عندما إختفي فجأة لم يئسوا من غيابة أشاعوا أوربما أعتقدوا أنة سقط غريقا في البئر ..لكنهم لم يجدوا أثرا لة قطّ! .. وكان الناس قديما يقولون أنه عندما كان يشتاق لأهلة كان تأتي بة الجنية ليراهم لكن دون أن يشعر بة أحد ,ولا حتي أهلة وكان البعض يقول أنة يراة من بعيد يبدوا كشبح في كل ليلة يكتمل فيها القمر ويصبح بدرا في اليوم الرابع عشر من كل شهر ,,

ثم تنهدت جدتي تنهيدة طويلة وكأنما هي صدي صوت آت من بعيد بطول تلك السنون التي مضت ..وكأنما هي بصمة صوت يرن صداها في أرجاء كتب التاريخ الفسيحة اللتي علاها الغبار وتراكمت عليها الذكرياات ,, وتكمل حديثها معي والحيرة تملؤ نبرات صوتها :

--البعض كان يقول أنها قصة ثأر قديمة بين أحد الإخوة ..يقال أن أحدهما قتل الآخر بعد

خلاف كبير وقع بينهماوقد دفن أحد الأخوين أخوة داخل هذة البئر القديمة ثم هرب بعدها وأختفي ولم يراة أحد منذ ذلك الحين ! والأغرب أن أحدا لم يكتشف مكان للجثة ولم يراها .. نظرت اليّ جدتّي وقد لمعت دمعة حزن في عينها كأول شعاع للشمش عند بزوغ ضوءها الأول علي الأرض وقالت بحنان ممزوج بحيرة وألم :

--لقد سمعت من ابي أمي الكثير والكثير من الأقاويل ..لقد قالوا وقالوا وقالوا عن تلك البئر القديمة ..وسمعت من كل أهل الحي أكثر مما ينبغي أن نسمع وأكثر مما ينبغي أن يقال من الحكايات التي حدثت عند تلك البئر واللتي لايعلم سرها إلّا الله تعالي .. وشردت جدتي بخيالها نظرت عيناها لبعيد هي تركب حصان خيالها وتمتطّي أشواقها التي كانت تزفر شهيقها مع كل نفس و وبلهفة لم أراها ترتسم كلوحة فنان علي وجهها قائلة :

---لكن كنا دائما ونحن صغارنأنس كثيرا بالجلوس عند تلك البئر .. ولايحلوا لنا اللعب أو الّهو الاّ حول تلك البئر كنا نشعر بشعور غريب جميعنا ..الكبار والصغار لاندري مصدرة ..الي أن أتي ذلك اليوم وأشتري والدي قطعة الأرض التي كانت البئر فوقها بعد أن جف ماؤوها ونضب..ثم.....

فقاطعت جدّتي فجأة وأكملت ماأرادت وصلة من حديثها كأنّما اللحظة الحاسمة قد أتت وبلهفة صاروخية إندفعت قائلة :

--ثم ّبني الحمام في موقع البئر .. اليس كذلك؟

---فضحكت جدتي و قد فهمت ماأرمي من حديثي ..وبشئ من الحزم جاوبتني قائلة :

---أري أنك ياصغيرتي قد أعطيت الموضوع أكثر مما يستحق من إهتمامك ..إنّها مجرّد حكايات قديمة تحتمل الخطأ الصواب ..وقامت فجأة في محاولة منها لإنهاء الحديث الذي دار بيننا حول سر الحمام القديم أو بمعني أدق سر البئر التي كانت في مكانة .. ظنا منها انها قد روت ظمئي وتعطّشي لسبر أغوار هذا الغموض وفك شفرات هذا اللغز الساحر المحيّر الّذي طالما عصف بقلبي وروحي معا ليذهب بهما إلي حيث لاقرار ! ليدخلني عوالمة الغامضة واللتي كانت تتأجّج نيرانها بلهفة وغموض كلّما وقفت أمام باب هذا الحمام أو تأملّتة من الدّخل !؟.. كل هذا كان يثبت أمام ناظري وأنا اتأمل الحمام من الداخل بصور متحركة وثابتة ,واضحة وغامضة ,مضيئة وباهتة ..لكل ماقصّتة لي جدّتي وكل ماشعرت بة إيزاء ذاك السحر والرهبة والغموض ,,كثيرا وبعدما سمعت ماقصّتة لي جدّتي كنت أشعر في كثير من الأحيان ان هذة البئر ستثور مياهها فجأة من تحت قدمي لتنفجر في غضب بعدد وبطول تلك السنوات الماضية لتتدفق وسط الحمام معلنة عن تمردها علي كل مامضي وعندا ستوشي لي بكل الحقيقة كاملة وتعلن أمامي في إصرار وثبات قائد المعركة عن كل أسرارها التي خبّئتها عن الأسماع وأخفتها عن أعين النّاظرين المتطفّلين اللّاهثين لمعرفة ماخفي من الأنباء والأحداث والظواهر المستترة التي قد تكون خارقة للعادة !!!إنتظرت كثيرا

..لكن شيئا من هذا أو ذاك لم يحدث .. وظلّت التساؤلات تعصف برأسي, والرهبة تملؤني حتي فاض ماؤها فسال من حولها ,, وإزدادت حيرتي وزاد معها ولعي حتي غاص في أعماق قلبي وتشبث بة تشبّث رضيع أنهكه الجوع بثدي أمّة حيث لافكاك البتّة .. حاولت أن أقنع نفسي أن تحت بناء هذا الحمام مجرد بئر قديمة قد جف ماؤها بمرور الزمن وإنعدم .. لكن بدون جدوي ..وكأنما لهفتي لم ترتوي بعد من ظمئها وحيرتي لم تنطفئ بعد نيرانها المتأججة .. ظل سر هذا الحمام قائما قاتما وبدون أدني تفسير ..ظل بعيد كل البعد عن كل ماحولة قريبا كل القرب الي كل ماهو غريب ومريب .. إنة شئ أسطوري الطابع .. وكبرت وكبر السر الغامض بداخلي حيث لم اجد لة تفسيرا أبدا ..وتركت بلدتي الصغيرة بكل بساطتها ونقائها ووداعتها ..ودعت الطيور والأشجار والبيوت الصغيرة حتي ماء الترعة ودعتة بعد أن أغرقتة بدموعي فكاد ماؤة يفيض حبا حنانا ..وودّعت مع كل ذلك جدّتي الحبيبة الحنونة .. وحفرت دموعها التي بللت وجنتياي عندما ودعتها مكان لايمحي فوق وجنتي كلما تحسستها أشعر بدمع جدتي تسيل طازجة وكأنها ليدة اللحظة كالزهرة البرعم التي ببلها الندي وفاحت رائحتها الطّازجة لتعطّر ارجاء الكون ! ورحلت مع أسرتي للمدينة الصاخبة بكل أضوائها وضجيجها وعبثها ولهوها ..لكن قلبي لم يرحل ..بقي مستكينا قابعا مكانة في ثنايا الذكريات داخل طيات كل حبة رمل كنا نلعب فوقها في بلدتنا الصغيرة ..وظلّ السراللذي تركتة خلفي ورحلت كجدار عال أمامي لم أستطع يوما أن أقفز فوقة أو أجرؤ حتي علي تسلّقة .. ورأيت في المدينة مالم يكن يخطر لي علي بال من قبل ..رأيت قصورا فخمة (فلل) وعمائر فارهة الإرتفاع ,,غاية في الإتّساق والروعة والإبهار الذي لابد أن يخظف عين الناظر من الوهلة الأولي .. كان بيتنا الجديد الذي أمتلكتة أسرتي بيتا فاحشا في الثراء بخاصة بعد ترقي أبي في منصبة الجديد في العمل وزاد راتبة تحسنت أحوالنا المادية بشكل ملحوظ ! بل أننا قد أشترينا سيارة جديدة .. وكنت أتأمل بيتنا كما أن أفعل دائما كل ركن فية كان ينطق بالثراء الجديد الذي هب علينا ..غرفا اسعة كبيرة تضج بأثاث وفرش غال الثمن مبهر للعين في كل ركن من أركان البيت قد وضعت تحفة أو فازة أو قطعة أنتيكة غالية الثمن كانت توضع في أركان البيت صامدة بعناد وكأنما كل تحفة كانت تتحداني عندما أنظر لها واتأملها وكأن لسان حالها يعقد مقارنة بين مامضي ويزهو أمامي بفخامتة وجمالة .. لكني مع الأسف لم أنسي قط ؟ لم أتأثر بكل جديد وثمين رأتة عيني لكن لم يرة قلبي ! لم يمس وجداني ..بل لم يحرك فضولي لم يثر تساؤلاتي.. لقد حرمت من الغموض الساحر الذي كنت أنعم بة أنا صغيرة في بلدتنا .. لم أشعر يوما بالرغم من المدة التي مرت علينا في المدينة أن هذا هو بيتنا أ أن هذا هو مكاني الجديد الذي أصبحت آوي الية ..لكنة لم يسكن داخل روحي ابدا ..ولا حتي للحظة واحدة.. كان حمام بيتنا الجديد متسعا فخما فية من كل أثار النعمة الثراء مايبهر عين الناظر.. حماما بني علي الطراز الحديث فية من مظاهر الأناقة والرفاهية والأبهه مايسبي العقول

ويثير الإعجاب ..لكنة لم يحدث !! أنة لم يحرك ساكنا بداخلي .. بعدت عنة روحي كما بعدت عن باقي أرجاء البيت الجديد بكل فخامتة!!! لم ينسني هذا الحمام بكل روعتة وإتساقة..لم أفغر فاهي أمام جمال القيشاني اللاّمع اللذي كان يزركشة وكأنة يزهو بألوانة كالطّاووس المغرور ببديع الوانة وجمال شكلة ..! وصرخت صرخة مكتومة مكلومة كصرخة أم ثكلي فقدت أعز أبنائها علي قلبها في لحظة انة ليس هو .. ليس هو.. وتساءلت والح عليا السؤال عندما إجتاحتني الذكريات العتيقة فأبكت عيني حتّي ذرف منها الدمع مرغما علي الهبوط بعد إن استحثتة الذكريات وأجبرتة علي الخضوع لها في تحد صريح وقاسي ..كصرامة وحزم قائد يحارب تحت نصال السيوف ..لفحتني قسوة ذكرياتي المفقودة وأقضت مضجعي برودتها كزمهرير شتاء قارص لايرحم ,,آآآآة قلتها بعزم مأمتلك من قوة .. اين مامضي من حياتي ؟ كيف تسرّب من بين يدي كالماء دون أن أشعر ؟ كيف ,كيف ,كيف ؟؟؟ آلمني ذلك كثيرا .. لكني كتمت أنيني بين ضلوعي ومضيت بجرحي العميق الذي لم أجد لة برأ ..بل أنني كنت في كثير من الأحيان اتلذذ بالألم ..اتلذذ بعذاباتي في إجترار ذكرياتي القديمة ..لم تفارقني صورة بيت جدتي ..لم تفارقني صورة الحمام القديم.. كنت أغمض عيني وأتخيلة أمامي بجدارنة المتفحمة الغارقة في السواد وسقفة المرتفع الذي لايكاد يصل الية بصري حتي يجهد .فيرتد مرة أخري ..فثار في نفسي تلك المشاعر القديمة فزع,, رهبة ,, خوف ..ولع ..ولة ..عشق للمكان للزمان ..بل للحظة ذاتها .. شعرت أني كنت أمتلك العالم بأسرة بطولة وبعرضة في تلك اللحظة !!! وتوقف الزمن لدي .. بل قل إن عمري توقف عند ذاك الزمن وأبي بعناد طفل مدلل لابد تلبّي لة كل رغباتة أن يتحرك خطوة واحدة بعد العمر الذي مضي من حياة الطفولة التي عشتها في بيت جدّتي .. وفي ذات ليلة هببت اقفة من مكاني وأعلنت عاصفة العصيان التي هبت في رأسي وفي كل كياني ..فإقتلعت كل شئ أمامها بدون هوادة ولا شفقة في كبرياء وعناد ..قررت العودة حينها لبلدتنا الصغيرة تحديدا لبييت جدتي والتي كانت قد توفيت منذ فترة .. ومهما كان الثمن أورد الفعل..

فقد خرجت عند بزوغ الفجر من المنزل وركبت سيارة أبي الفارهة ولم أعبأ بأي شئ آخر وأتّجهت إلي بلدتنا الصغيرة ..يحملني الشوق في كفة ويطير بي ويطويني داخل عالمة السرمدي الأبدي الأسطوري .. وإنطلقت بالسيارة وأنا لاأكاد أشعر بالأرض من حولي تتابعت أمامي كل الصور القديمة حتي وصلت .. ثم نزلت من السيارة التي وقفت أمام بيت جدتي أو بمعني أصح أمام ألأطلال التي بقيت .. لم اري أثرا للبيت ,, تلفتت حولي وبهتت ..دارت بيا الدنيا من حولي .. وعصف الخوف بقلبي وأنا أجري لاهثة كمريض يحتضر وقد أشرف علي الموت ! لم أجد حولي شيئا مما كنت أمني نفسي بة طوال رحلتي من المدينة حتي بلدتنا !؟ تساءلت ..هل ياتري ضيعت العنوان ؟ .. هل نسيت مكان البيت ؟ لكن لا ,لايمكن أن يحدث هذا محال .. قد تطلع الشمس من المغرب

أو قد لاتشرق أبدا ..اما إني أضيع أو أنسي عنوان البيت ..لا ..كلاّ هذا لن يحدث أبدا .. سرت بضع خطوات بطيئة متثاقلة نحو مكان البيت .فلم أري أمامي سوي أطلال كئيبة وبقايا تنبؤني بأن البيت قد تهدم وكأنما هي تعزيني في فقدان عزيز .. تلفتت حولي مرّة أخري تلتها مرات ومرات عديدة ..وملأ الفزع كأسي حتي فاض ماؤوها وتحول لشلالات تنهمر بشراسة مقاتل جسور يهوي بالسيف علي جسد العدو .. وجلدتني نيران الحيرة بسياطها ..جننت وفقدت صوابي حين لم أجد البيت مكانة ..أصابني الدوار ..وشعرت بأن الأرض تهتز من تحت ..أقدامي.. إنني لم أضيع العنوان .. ولم أنسي المكان .. فإن كان ذلك صحيح فأين البيت؟! أين , أين؟؟؟ أحسست أن الأرض غاصت فجأة من تحت قدمي ..لقد غربت شمسي خلف الأفق وضاع مني الزمان ..إختفي المكان وإندثر بين طيات حنيني للماضي البعيد..
تبخّر عطرذكرياتي وتسرب كالزّئبق ولم يعد لة وجود .. أحسست أنني تهت فجأة,, ضعت .. وبسرعة البرق الخاطف التقطت عيناي أثرا لحفرة عميقة تهبط في باطن الأرض وأدركت حينها أنها أثرا للبئر القديمة! إذن فهو مكان الحمّام ..هرعت إلي هناك متلهفة لأروي عشطي الذي لايرتوي أبدا ..ولم أري بالطبع سوي أطلال وبقايا للمكان وللبيت كلة ..فأخذت أتحسس كل شبر في المكان كالأعمي الذي فقد بصرة فجأة ,, فإذا بة يحاول إسترجاع ذاكرتة البصرية متعلقا بما بقي لة بها تعلق الطفل بأمة ..علة يستعيد ما فقدة ولو للحظة واحدة ..

بقلم/ منال خليل

.